
القافلة
المحرم ١٤١٦هـ - يونيو ١٩٩٥م
السيطرة البيولوجية على الآفات

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

AL - QAFILAH

العـدد الأول - المجلـد الرابع والاربعـون

المحرم ١٤١٦ هـ — ردمـــد ISSN 1319 - 0547 — June 1995

في هذا العدد

فيفا .. روضة تعانق السماء

عادل أحمد صادق



١

١٦

القرن العشرون : التحول الأعظم في تاريخ الإنسان

د. أحمد كنعان

٩

قراءة في كتاب : الاتصالات والتقانة والمجتمع

عرض : رجب سعد السيد

شوق (شعر)

درويش الأسيوطي

٥

أضواء على الأزمة الراهنة للدولار

د. فريد بشير طاهر

٦

أساليب العلاج في مدرسة علم النفس الإنساني

د. حسن حسن

١٢

تحولات القاهرة وتبدلات أشكال التعبير الأدبي عنها

د. صبري حافظ

٢٠

السيطرة البيولوجية على الآفات

د. بشار عبد الرزاق جعفر

٢٤

عـصر الأحد العصيب (قصة قصيرة)

ترجمة : د. عبد الله طلال الشناق

٢٨

الإيدز في مواجهة علم المناعة

ترجمة : عبد الحفيظ جباري

٣٠

قصائد هاربة (شعر)

معشوق حمزة

٣٣

دور الأفراد في اندثار المجتمع

د. خالص جلبي

٣٤

رمز الموت في عودة السيّاب إلى «جيكور»

سارة مطر

٣٩

نحو تصور علمي لإنقاذ الحياة الفطرية

مجدي محمد عيسى

٤٢

صفحة في اللغة

د. بهجت عبد الغفور الحديثي

٤٨

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة ارامكو السعودية لموظفيها . توزع مجاناً

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام

Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
- لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير .
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها .

العنوان

أرامكو السعودية

صندوق البريد رقم ١٣٨٩

الظهران ٣١٣١١

المملكة العربية السعودية

هاتف : ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦

فاكس : ٨٧٣٣٣٣٦

الغلاف

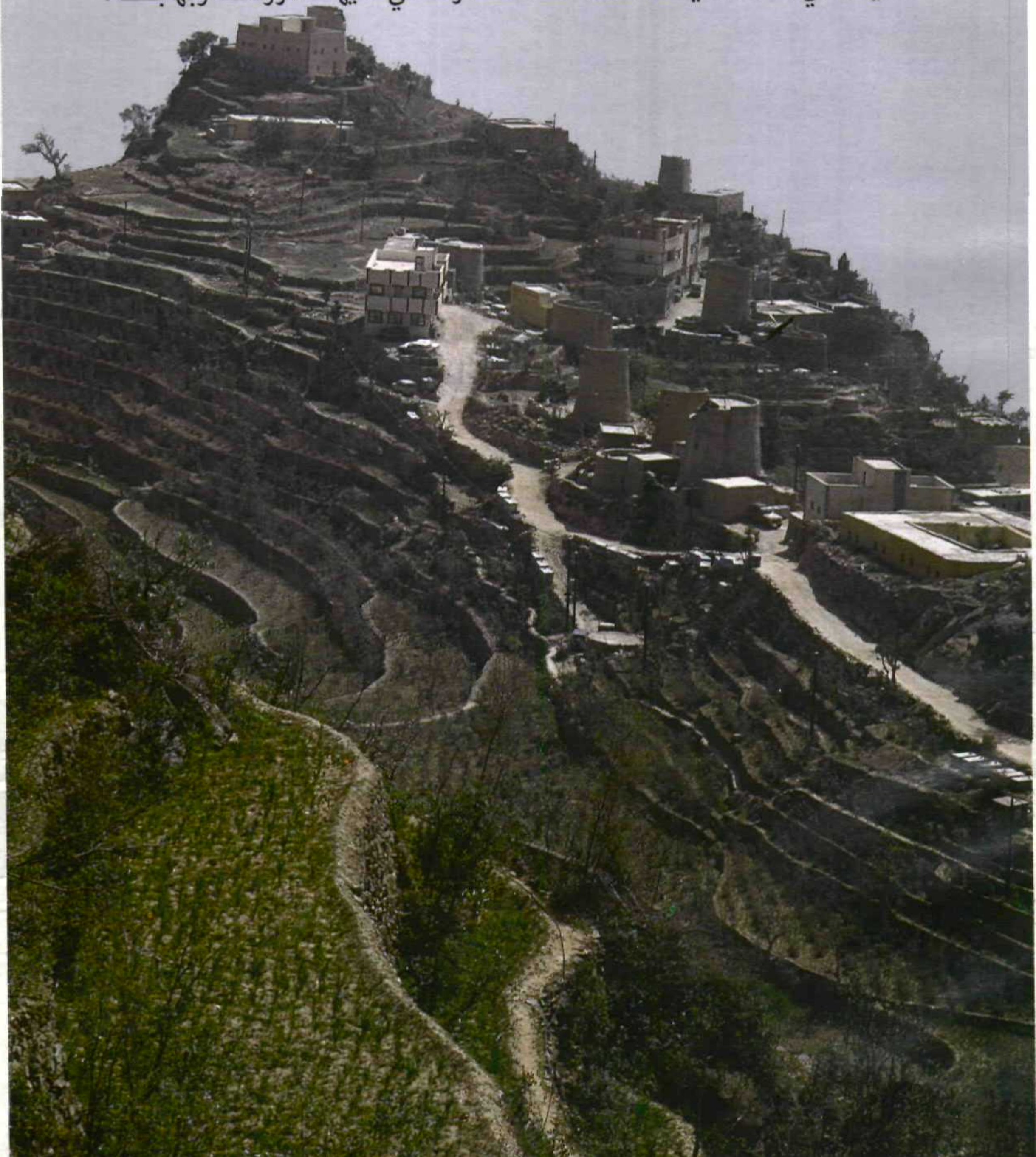


تصوير : Science Photo Library

فيفا .. روضة تعانق السماء

استطلاع : عادل أحمد صادق ـ هيئة التحرير
تصوير: حسين أحمد رمضان - ارامكو السعودية

يخيّل لمن يرى مدينة «فيفا» وهي تناطح السحاب كل يوم أن أهلها لايفكرون أبداً بمبارحتها، فلاشيء يعوض عن سكنى السحاب، ولاشيء يغنيهم عن معانقة مدينتهم للسماء فالجبال الشامخة والخضرة وسمرة الأرض، وخيوط الشمس الذهبية تجعل للحياة في هذه المدينة طعماً خاصاً وتضفي عليها، رونقاً وبهجة.



أرامكو السعودية

تتباين البيوت الحديثة والبيوت الطينية القديمة في جبال فيفا.

عند وصولنا الى فيفا بعد أن قطعنا مسافة ٨٥ كيلو متراً الى الشرق من جازان كان أول ما لفت انتباهنا قمم الجبال التي تربو على ثمانية عشر جبلا، وبدت من بعيد كأنها جبل واحد، وعرفنا بعد ذلك أن هذه الجبال جميعها تسمى جبل فيفا.. وهي تحمل اسماء أسر حكمت أو أقامت أو عبرت هذه المنطقة.. فهناك: جبل آل مغامر، وجبل آل ظلمة، وجبل آل عامر، وجبل آل سراحيل وبقاعة، وجبال آل عطا، وجبل آل ثويع، وجبل آل المدري، وجبل آل مشينة من آل عطا، وجبل آل ابا الحكم من ولد عطا.

أرض الشموخ:

حين سألنا أمير فيفا ناصر السبيعي عن أصل كلمة «فيفا» أجابنا بأن اسم المنطقة اشتق من الفيافي، أي الصحاري والقفار، ولكن هناك من يقول إنه يعني العلو والشموخ، أما استيطانها فقد اشار اليه فضيلة قاضي التمييز بمنطقة مكة المكرمة الشيخ على بن سالم الفيفي (أحد أبناء فيفا) بأنه يرجع إلى عام ٣٤٠هـ. ويشير الكاتب الأديب محمد أحمد العقيلي أحد كتاب المنطقة البارزين في كتابه «المخلاف السليماني» إلى أن فيفا موجودة حتما عام ١٠٣٥هـ، إلا أنها كانت قرية صغيرة ومنزوية لاصلة لها بالحياة العامة من حولها ورغم عزلتها إلا أن جيش الإمام اليمني المؤيد غزاها سنة ١٠٣٥هـ وهو ما سجل في كتب التاريخ عنها، ولم تتخلص فيفا من نفوذ الامام المؤيد إلا بعد نهاية حكم المتوكل اسماعيل أخي المؤيد، ثم عادت الى عزلتها، وكأن هذه العزلة قدرها، الى أن غزاها عام ١١٦٥هـ أمير المخلاف السليماني الذي هزمه الفيفيون وغنموا أكثر اسلحة جيشه، وفي عام ١١٧٥هـ عاود أمير المخلاف السليماني غزو فيفا ومني بهزيمة أنكى من سابقتها.

أما الاتراك الذين استولوا على كثير من انحاء الجزيرة العربية فلم يعرف أنهم غزوا فيفا في جميع عهودهم، ولم يخضع جبل «فيفا» لأية سلطة الى أن حكمه الإمام الإدريسي

بعد تشييد إمارته في العقد الثالث من هذا القرن، واستطاع أن يحكم جبل فيفا الذي ظل تابعا للإمارة الادريسية حتى جاء وقت انضمام هذه الإمارة للحكومة السعودية عام ١٣٥١هـ.

هبوط وصعود:

مناخ فيفا مثل مناخ كل القرى المتناثرة على جبال السروات فهو شديد البرودة شتاء، معتدل الحرارة صيفا، وكان مناخها وقت زيارتنا معتدلا مما شجعنا على التجوال الطويل منذ الصباح الباكر بين ربوعها صعوداً الى الجبل، وسلكت بنا السيارة أولا طريقا سهلة لكن سرعان ما تعرضنا لحالات متتالية من الترقب لما يظهر بين حين وآخر من وعورة الطريق وشدة خطرها، كانت هذه الطريق انشئت قبل اثني عشر عاما، وعانى الأهالي قبل شقها الأمرّين للوصول الى منازلهم الواقعة على أطراف الجبال المتباينة الارتفاع. كانت هذه الطريق شبه حلزونية، وفي مقابل الصعود المتتالي لسيارتنا الى الأعلى كان النظر الى الأسفل يثير الخوف في النفوس، وفي طريقنا كنا نمر بسيارات لم تستطع مواصلة الصعود فتوقفت، وأخرى تكاد وهي تنزل المنحدر الشديد أن تنقلب على رأسها، وقد كانت الخضرة التي تكسو الجبال على امتداد البصر تبدد خوفنا وكان أكثر ما يدهش المرء وهو يتجوّل في ربوع فيفا قهر الإنسان للطبيعة لتتوافق مع حاجاته، وتبدّى ذلك في الأراضي الزراعية المعروفة بالمدرجات التي اشتهرت بها المنطقة وفرضتها عليهم

أول مدرسة بنيت في فيفا.

طبيعة التضاريس المحيطة، أما النظر الى هذه المدرجات فإنه إحدى المتع التي لا يملّها الزائر مهما طالت.

وهناك شيء آخر يمثل لوناً مختلفا من ألوان جمال فيفا هو هذه البيوت (العشش) المخروطية الشكل والبيوت القديمة المبنيّة من الحجر التي أنشأها أعيان المنطقة وزاد عمر بعضها على ٥٠٠ عام.

الأهالي من معاناتهم قامت هيئة التعمير والتطوير بحفر آبار في الوادي لتوفير مياه الشرب بواسطة شاحنات نقل المياه التابعة لها، التي تقوم بدورها بتعبئة الخزانات الكثيرة والمتراصة على حواف الطرق، واستمرت الهيئة في أداء هذه الوظيفة الى أن أوكلتها لبلدية فيفا، أما المزروعات فتعتمد أساساً على مياه الأمطار باعتبارها مزروعات موسمية.

يتبنى أهالي فيفا في أساليبهم الزراعية طريقة المدرجات نظراً لتضاريس المنطقة

زراعة الجبال :

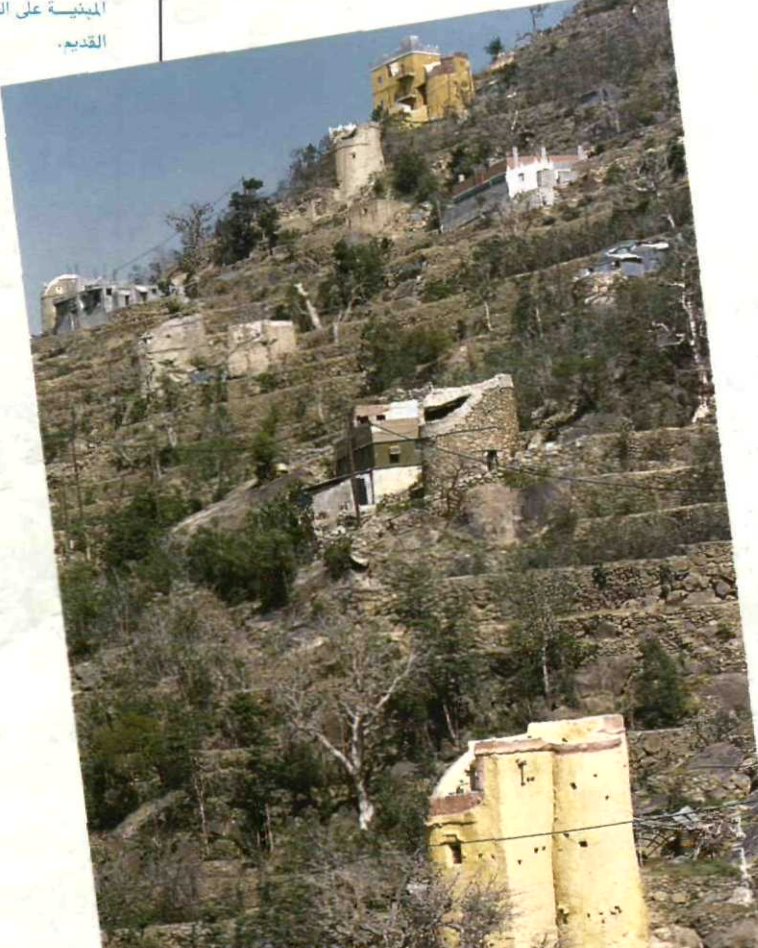
في اثناء سيرنا توقفنا طويلا عند مناظر زراعية نادرة كدنا ننساها كحرث المدرجات بالطريقة التقليدية: الثور والمحراث الخشبي ومن خلفهما الفلاح يحمل إناء البذور ينثرها ويدفنها بقدميه في شقوق الأرض، ولكون الزراعة كما ذكر لنا ابناء المنطقة هي مصدر رزقهم الأول، تأتي بعدها التجارة.. ثم الرعي، كان لابد من التوقف عند الدور الذي لعبته هيئة تطوير وتعمير فيفا التي تأسست عام ١٣٩٦هـ لتشجيع الزراعة، حيث أولت الهيئة عنايتها لتوفير شتلات لأشجار مثمرة ثبت توافقها مع طبيعة المنطقة في محطة التجارب الزراعية التابعة للهيئة التي أنشئت مع محطات تجارب أخرى سنة ١٤٠١هـ وما تزال الهيئة توفر شتلات الأشجار المثمرة لمن يطلبها من المزارعين دون مقابل مثل شتلات أشجار الموز والبابايا والمانجو والموالح والبن والتين، كما أن الهيئة تطرق كل يوم أبواباً جديدة لتأمين بدائل زراعية أخرى توفر الكثافة والتنوع.

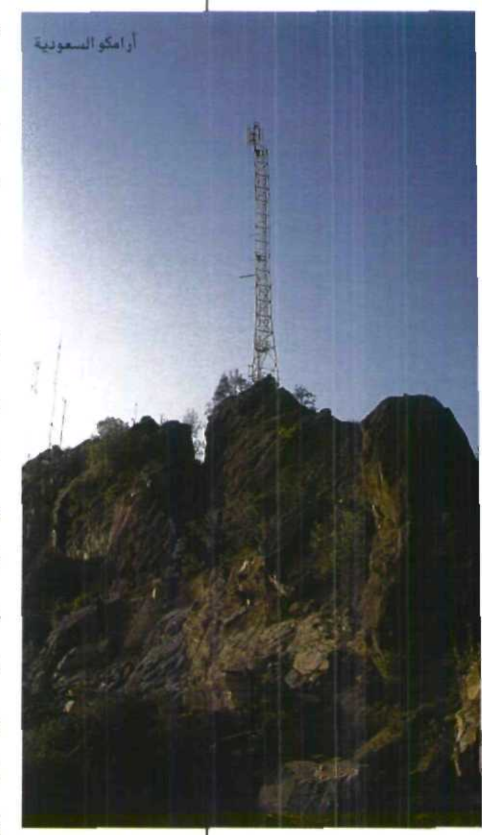
ومن المناظر السائدة هناك خزانات المياه المتراصة على حواف الطرقات فقد عانت فيفا من شح المياه وصعوبة الحصول عليها سواء ما يستخدم منها للشرب أو الطهي، أو للاستعمال العام، أو لري المزروعات، ولتوفير المياه وتخليص

الكهرباء بالهيليوكبتر:

خلال تجوالنا خيّم الليل، فكان دافعا آخر لمواصلة سيرنا وسط جو منعش، وتابعنا الصعود إلى أعلى قمة في الجبل تعرف باسم العبسية ويبلغ ارتفاعها ٨٠٠٠ قدم، وهي تمثل

ما يزال بعض أهالي فيفا يسكنون البيوت المبنية على الطراز القديم.





«العبسية» أعلى قمة على جبال فيفا، وهي ترتفع حوالي ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر.

منتجعا لسكان المنطقة والمناطق المجاورة نظرا لاعتدال جوّها صيفا، وتقوم على هذه القمة قلعة تعد مع قلاع أخرى أقدم مظاهر المنطقة إذ تتراوح أعمارها بين ١٥٠ الى ٦٠٠ سنة تقريبا.

حين صعدنا على قمة القلعة بانت أنوار من كل الجهات مصدرها المنازل. وكان لابد أن نسأل عن كيفية وصول التيار الكهربائي الى هذه الاماكن المرتفعة جداً والوعرة أيضا؟ وعرفنا ان صعوبة ذلك ذللت باستخدام طائرات الهيليوكبتر التي نقلت اعمدة وأسلاك توصيل الكهرباء من السهول الى قمم الجبال وسفوحها ومنحدراتها الشديدة، ويذكر أهل المنطقة ان منظر الطائرات كان جميلاً وهي تقف في الهواء على ارتفاع معين فتنزل الأعمدة مربوطة بحبال ليتم تثبيتها فيما بعد على الأرض. وظل هذا الأسلوب متبعاً حتى عمت الكهرباء جميع المواقع السكنية.

تنمية فيفا:

تشير الوقائع الى أن فيفا كانت عبر التاريخ منطقة معزولة نظراً للظروف الطبيعية التي تحيط بها ولأن الطرق ووسائل المواصلات لم تصلها إلا في حقب متأخرة، ولم تخرج فيفا من تلك العزلة إلا حين شقت الطرق اليها وأصبحت مستعدة لاستقبال الآخرين والتواصل معهم ومواصلتهم وتبادل المصالح معهم، ولم يكن من السهل مثلا تعمير بيوت اسمنتية على الطريقة الحديثة دون طرق، كما لم يكن سهلا تعميم نشاطات التعليم والصحة والخدمات الأخرى من غير هذه الطرق، ولذلك فإن أول عمل وضعته هيئة تعمير فيفا وتطويرها نصب عينها هو شق الطرق في نواحي الجبل سواء كانت طرقاً معبدة، أو ترابية كالطرق التي رأيناها تشق جبال العبدلي، والحربي، والمشنوي، والمشناف الى العارضة، وكالطريقين الرئيسيتين اللتين تعرفان بطريق ١٢ وطريق ٨ ويستخدمهما أهالي فيفا للهبوط الى جازان والمناطق المجاورة، أو الصعود مرة أخرى إلى مناطق سكنهم.

وبعد ان كان المحظوظون من أبناء فيفا يتعلمون في كتاتيب موجودة في مناطق أخرى بعيدة صار هناك ٥٦ مدرسة للبنين والبنات لمختلف المراحل ومعهد علمي تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعهد لإعداد المعلمات، وكذلك مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومدارس لمحو أمية الرجال والنساء.

وكان حظ الخدمات الصحية لأبناء فيفا كبيرا ايضا بعد افتتاح مستشفى فيفا العام وانشاء بعض المستوصفات في نواحي الجبل، وقامت الهيئة بإنشاء وحدة صحية ثابتة بجوة الشراحيلي بالمنطقة، وفي عام ١٤١٢هـ انتهى بناء مستوصف الظلمي بفيفا.

اذن فقد أخذت فيفا حظا وافراً من التنمية التي تنعم بها جميع مناطق المملكة، وأصبح بمقدور ابنائها مشاركة ابناء هذا الوطن في رقيه وتطوره.

أحد الأبنية القديمة التي كان يستخدمها أهالي الجبل قبل بنائهم البيوت على الطراز الحديث.

أرامكو السعودية

وما بين الماضي والحاضر، تكون فيفا بطبيعتها الساحرة من أروع ما شاهدنا، وهي تستحق أن تكون من درر الأرض التي أبدعها الخالق سبحانه، انها كما قال شاعر يصفها:

للنسيم بها بين المروج شذى
معطر كعبير المسك في الطرر
وللندى مقل تزهو الغصون به
يصوغه البدر أسماطاً من الدرر
وللمياه خرير في جداولها
جس الأنامل إن مرت على الوتر ■

شـــوق

شعر: درويش الأسيوطي ـ مصر

حينَ قايضني النخلُ

بالارتحالِ ..

وغافلهُ التمرُ

هزتْ لنا الريحُ أعطافها

واستدارتْ تبادلني رحلةً بالشراعِ

وأخرى بمجدافِ مركبتي، والأمان

أيها الموجُ

يارحلةً للبعيدِ البعيدِ

تماكثت ناصيةَ الشطِّ

والزورقُ المستحيلُ يباعدُ بيني

وبينَ الرمالِ!!

أنا نخلةٌ،

كيفَ هذا الرحيلُ عن الماءِ ؟!

مَنْ للصحاري بظلٍّ اذا ماتسرّبَ نخل المدائنِ

وابتلّ بالحزنِ في أمسياتِ الشتات

ليَ الليلُ مختزنٌ للحكايا

وذاكرة للقبائل

مَنْ يخلَعُ الجذرَ منْ رملِ هذا الفضاء

دعيٌّ ..

ومَنْ يهجرُ الربعَ دونَ اضطرارِ مدان

هنا النخلُ والرملُ

هلْ منْ سبيلٍ الى الزَمَنِ المستحمِّ بعطرِ الإباء

وبالفتحِ والصولجانْ

تباركَ رملُكَ،

نُخلُكَ،

أفياءُ جنتكَ اليعربيهْ،

تَباركتَ ياوطنَ الشعرِ

والأغنياتِ الحسانْ

وعذراً إذا الشوقُ فاضَ

فباعدَ مابينَ شعري

وشمسِ القصيدِ

وأفقدَ أبياتنا الاتزانْ



أضواء على الأزمة الراهنة للدولار

بقلم : د. فريد بشير طاهر
جامعة الملك فيصل – الاحساء

سجل الدولار أدنى مستوياته منذ الحرب العالمية الثانية في يوم الإثنين السادس من مارس ١٩٩٥م حيث انخفض الدولار مقابل المارك الألماني إلى ١،٤٠٤٨ مارك وفي مقابل الين الياباني إلى ٨٠،٨٠ ين في ذات اليوم. والدولار كغيره من العملات العالمية المتداولة أعلن عن تعويم سعر صرفه في أعقاب إعلان الرئيس نيكسون في عام ١٩٧١ عن تخلي الولايات المتحدة عن صرف الدولار بالذهب، ذلك الإعلان الذي جاء إيذانا بانتهاء العمل باتفاقية برايتون وودز لأسعار الصرف المثبتة.

في عام ١٩٧٣ إثر إعلان البوندسبانك (البنك المركزي الألماني) عن توقفه عن التدخل لتثبيت أسعار صرف المارك في الأسواق العالمية، عقدت الدول الاعضاء في صندوق النقد الدولي مؤتمر جاميكا الذي أقر التعامل بنظام أسعار الصرف المعومة المدارة، الذي يسمح لأسعار صرف العملات بالتقلب في حدود ٤،٥٪ دون تدخل من الدول، على أن تتدخل البنوك المركزية للدول في أسواق الصرف العالمية مشترية أو بائعة لعملات بلادها للحيلولة دون تقلباتها الحادة التي تنشأ عن تحركات قصيرة الأجل لرؤوس الأموال أو بسبب نشاطات المضاربين في الأسواق الآجلة للعملات.

وفي ظل هذا النظام تتحدد أسعار صرف العملات بتفاعل قوى العرض والطلب على العملة المعنية. ويعتمد عرض العملة على طلب الدولة على الواردات من باقي دول العالم، بينما يعتمد الطلب على العملة على الطلب العالمي على صادرات الدولة المعنية. وتلعب التجارة العالمية دورا مهما في تحديد أسعار صرف العملات التي يؤثر عليها التدفقات الرأسمالية بين الدول من أجل تمويل الاستثمارات في الأصول المالية ذات العائد من أسهم وسندات وكذلك تمويل شراء العملات بهدف المضاربة على أسعارها. فالطلب على العملات الأجنبية يمثل طلبا مشتقا من الطلب على السلع والخدمات والأصول المالية الأجنبية، وبالتالي فهو يعتمد أساسا على أسعار السلع المستوردة وأسعار بدائلها المحلية، وعلى العوائد على الأصول الأجنبية والعوائد على الأصول البديلة المتاحة محليا، بالإضافة إلى مستوى الدخل الاجتماعي للدولة.

لذا نجد أن سعر صرف الدولار مثلا يعتمد على المستوى العام للأسعار الأمريكية بالنسبة للأسعار العالمية(معدل التضخم في أمريكا بالنسبة لما هو عليه في باقي دول العالم)، فكلما ارتفعت الأسعار في الولايات المتحدة عن المستويات في باقي الدول قل طلب العالم على الصادرات الأمريكية وبالتالي قل الطلب على الدولار الأمريكي وانخفضت أسعاره بالنسبة للعملات الأخرى، كما يتأثر سعر صرف الدولار بأسعار الفائدة الأمريكية بالنسبة لأسعار الفائدة في الدول الأخرى، فكلما زادت أسعار الفائدة العالمية بالنسبة لأسعار الفائدة الأمريكية قل الطلب على الأصول الأمريكية وقل بالتالي الطلب على الدولار وانخفضت أسعاره. وقد لعبت هذه العوامل وحدها دورا أساسيا في ظهور عجز الميزان التجاري الأمريكي الذي تزامن مع ظهور موجة التضخم التي لازمت الاقتصاد الأمريكي منذ الستينات إثر الإنفاقات العسكرية الضخمة للحرب الفيتنامية. في وقت احتدمت فيه حدة المنافسة العالمية في مواجهة الصادرات الأمريكية خاصة من قبل كل من اليابان

والمانيا بفضل ما أحرزته هذه الدول من تفوق تقاني وانخفاض في معدلات التضخم. وقد اضطرت الولايات المتحدة أمام هذه الضغوط إلى خفض الدولار بنسبة ٧,٨٠٪ في ديسمبر ١٩٧١م ثم مرة أخرى بنسبة ١٠٪ في فبراير ١٩٧٣م.

إن النجاح الذي أحرزته الولايات المتحدة منذ عهد الرئيس رونالد ريجان في خفض معدلات التضخم، ترتب عليه استقرار نسبي في أسعار الدولار ولكن مازال عجز الميزان التجاري الأمريكي يشكل السبب الرئيس لحساسية أسعار الدولار للمتغيرات الاقتصادية المحلية والعالمية. وقد تعددت الآراء حول المتغيرات التي يمكن أن تفسر مانشهده هذه الأيام من هبوط مستمر في أسعار الدولار مقابل العملات الأخرى خاصة المارك الألماني والين الياباني.

يرى الاقتصادي رودجيرز دونبرش من معهد ماساشيوستس التقاني أن ماطرأ مؤخرا على الدولار من هبوط في أسعار صرفه يرجع إلى الأسباب التالية:

- انخفاض أسعار الفائدة الأمريكية بالنسبة عن المستويات في الدول المنافسة وإعلان البوندسبانك الألماني عن عزمه على رفع أسعار الفائدة في المستقبل القريب.

* فشل مجلس السنت (النواب) الأمريكي في المصادقة على تعديل دستوري يلزم الحكومة بموازنة الميزانية في موعد أقصاه عام ٢٠٠٢، الأمر الذي أعطى أسواق المال مؤشرا بعدم احتمال إحراز أي تحسن في مستوى الأداء الاقتصادي الأمريكي واستمرار اعتماد الحكومة على تمويل عجز الموازنة بالإصدار النقدي التضخمي أو الاقتراض من الجمهور وما يترتب عليه من انكماش للاستثمار الخاص وتدن في معدلات النمو الاقتصادي.

* إعلان الن جرينزيان رئيس مجلس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي (البنك المركزي) بأن من غير المتوقع ارتفاع أسعار الفائدة الأمريكية في القريب العاجل في وقت من المتوقع فيه أن ترتفع أسعار الفائدة في المانيا مما ساعد على زيادة مبيعات الدولار في صالح المارك من قبل المستثمرين والمضاربين.

* الانهيار الاقتصادي في المكسيك وتردي أسعار صرف البيسو المكسيكية والنقص الشديد المتوقع في طلب السوق المكسيكية على الصادرات الأمريكية وبالتالي النقص المتوقع في الطلب على الدولار.

ويرى آخرون ومنهم ديفيد روك المحرر الاقتصادي بجريدة وول ستريت جورنال أن لأزمة الدولار مسببات أخرى لعل أهمها:

* إعلان تعهد أمريكا بسد الفجوة التمويلية لدول أمريكا الجنوبية التي تبلغ نحو ٤٠ بليون دولار الذي بدأ تنفيذه بتمويل المكسيك بنحو ٢٠ بليون دولار سواء تم ذلك بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة من خلال الأرصدة الأمريكية لدى صندوق النقد الدولي. وقد تم ذلك في وقت ليس من المتوقع فيه أن تقدم المانيا ضمانات مالية لبولندا أو روسيا مثلا، الأمر الذي جعل المستثمرين يعتبرون المارك العملة الأكثر أمنا واستقرارا.

* ارتفاع معدل النمو الاقتصادي في المانيا الذي فاق كل التوقعات، الأمر الذي جعل ارتفاع أسعار الفائدة في



الدولار عملة أساسية في مضاربات أسواق الأسهم العالمية لكن هبوطه المستمر مقابل العملات الرئيسة الأخرى قد يفقده ذلك الامتياز.



ألمانيا أمرا حتميا في القريب العاجل، بينما يصعب على الاحتياطي الفدرالي الأمريكي أن يقيد عرض النقود لرفع سعر الفائدة بعد أن دعم الاقتصاد المكسيكي بمبلغ ٢٠ بليون دولار على حساب السيولة المتاحة للاقتصاد الأمريكي من دون زيادة في عرض النقود.

وقد كان للهبوط المفاجىء في أسعار صرف الدولار أصداء واسعة في الأسواق الأمريكية والعالمية يمكن إيجازها في الآتي:

- انخفاض أسعار السندات الأمريكية نتيجة لإقدام المستثمرين على بيع ما في حوزتهم منها والتحول إلى أصول مالية أخرى إما للتخوف من انخفاض العائد إذا ماحول إلى عملاتهم الوطنية أو تحسبا لأي زيادة في أسعار الفائدة نتيجة لتدخل البنك المركزي لإنقاذ الدولار أو بسبب استمرار عجز الموازنة الممول بالقرض العام وأثر ذلك على انخفاض أسعار السندات.

- الزيادات الملحوظة في أسعار بورصات المحاصيل (القمح وفول الصويا والفول السوداني والقطن) في الولايات المتحدة نتيجة لتفاؤل المصدرين بالنسبة لانخفاض سعر الدولار وأثره الإيجابي المتوقع على الطلب على الصادرات الأمريكية من هذه السلع.

- التباين في التغيرات التي طرأت على أسعار الأسهم الأمريكية. فبالرغم من انخفاض مؤشر داو جونز بمقدار ٣٥ نقطة في يوم الاثنين ٦/٣/١٩٩٥م فقد حدثت زيادة واضحة في أسعار أسهم الشركات العاملة في مجال التصدير، بينما لوحظ هبوط أسعار أسهم معظم الشركات العاملة في مجال الاستيراد خاصة من ألمانيا واليابان بسبب ارتفاع أسعار عملات تلك الدول مقابل الدولار.

- انخفاض أسعار أسهم شركات التصدير إلى الولايات المتحدة في البورصات الأوروبية واليابانية بسبب ماترتب من نقص في الطلب الأمريكي على الواردات من تلك الدول.

- ارتفاع أسعار الذهب إذ زادت دولارين وعشرين سنتا للأوقية في يوم الاثنين ٦/٣/١٩٩٥م إثر تحول بعض المضاربين مؤقتا إلى شراء الذهب بالدولار تحسبا لمخاطر التقلبات غير المتوقعة في أسعار العملات من جهة ولاستبعادهم أن تقدم الحكومة الأمريكية على شراء الدولار بالذهب في الوقت الحاضر.

وقد حاولت الولايات المتحدة بمساعدة شركائها في الخارج معالجة انهيار الدولار بطريقتين:

أولا: عن طريق شراء الدولار من الأسواق العالمية بالعملات الأجنبية خاصة المارك والين بهدف تقليص عرض الدولار وبالتالي زيادة أسعاره، وفي نفس الوقت زيادة عرض العملات المنافسة بهدف الحد من زيادة أسعارها على أقل تقدير.

ثانيا: أعلن وزير الخزانة الأمريكية روبرت روبين مؤخرا أن الحكومة تعتبر المحافظة على استقرار قيمة الدولار هدفا من الأهداف القومية ذات الأولوية وأن كل التدابير ستتخذ من أجل تحقيق ذلك، بغية التأثير إيجابيا على توقعات المضاربين والحد من هروب رؤوس الأموال إلى خارج الولايات المتحدة.

ولكن يبدو أن كلتا الطريقتين لم تفلحا في وقف تدهور الدولار الذي مايزال يواصل انخفاضه. فهل سيبقى البنك المركزي الأمريكي في مقعد المتفرج على أمل أن يؤدي انخفاض الدولار بطريقة تلقائية إلى زيادة الصادرات وخفض الواردات بالقدر الكافي لاستعادة الدولار لأسعار ماقبل الأزمة، أم سيضطر إلى التدخل لدعم الدولار بالإعلان عن زيادة أسعار الفائدة الأمريكية وتحمل الآثار السلبية لانكماش الاقتصاد الأمريكي ونقص في الاستثمار وزيادة في معدلات التضخم ومعدلات البطالة، والآثار السلبية لكل ذلك على الدولار.

من الصعب حقيقة التكهن بما سيحدث في المستقبل، فالأمر لايقتصر على متغيرات الاقتصاد الأمريكي وحده بل على العديد من التغيرات في سائر دول العالم ■

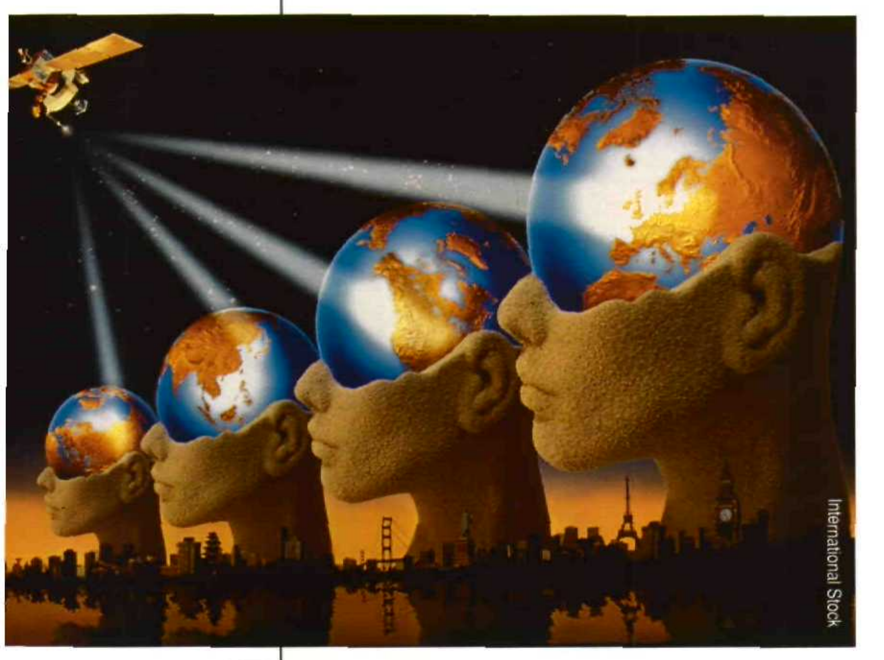


قراءة في كتاب :

الاتصالات والتقانة والمجتمع

تأليف : جوزيف ن. بلتون
عرض الأستاذ : رجب سعد السيد - مصر

يهتم هـذا الكتـاب المعنـون : Future View: Communications: Technology and Society in the 21st Century «نظرة مستقبلية : الإتصالات والتقـانة والمجتمع في القرن الحادي والعشرين »بمستقبل العلاقــة بيــن الإنســان والآلـــة الالكترونـية في القرن القادم، وهو لايقيم تصوراتــه على الخيــال المحـض، بـل علـى الحقائــق الثابتة التي تتداخـل فـي حـدود الخيـال، فتسقـط الحـدود بينهمـا، فالخيال - كمـا يقول يوسف إدريس - ليس وهمـا، والحقيقـة ليست ثابتة، وكثيراً ما يتبادل الخيال والحقيقة المواقع !



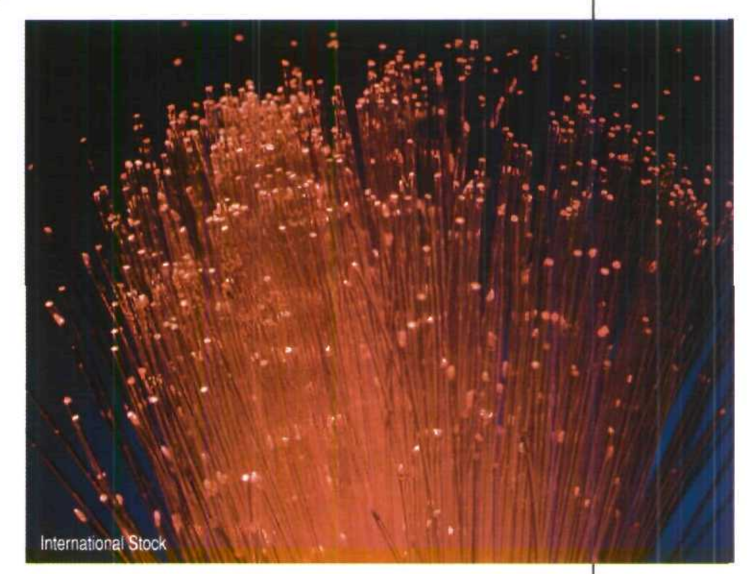
أشخاص يعملـون معا من مواقعهـم في قارات مختلفـة عن طـريق الحواسيب المشتركـة المرتبطـة بشبكـة الأقمار الصنـاعيـة لـلاتصـالات وكأنهم في مكتب واحد.

تأتي متعة قراءة هذا الكتاب المستقبلي من خلال المزاوجة بين الحقائق الثابتة والخيال، فالمؤلف جوزيف بلتون لايتحدث فيما لايعـرف، ولاينظـر إلى المستقبل اعتبـاطـاً، بل تتيح لـه خبراته المتعـددة أن يحدثنا عن أحـوالنا مـع الالكترونيات في القرن القـادم، وكأنه يقرأ في كتـاب مفتوح، فقـد أمضى الرجل ٢٢ سنـة في مـوقع المديـر التنفيـذي لأحـد أنظمـة الأقمار الصنـاعيـة الكونيـة، كما اضطلع بإدارة اللجنـة الأمـريكيـة الخاصة بـالعام العـالمي للاتصـالات (١٩٨٣م)، وهو يعمل حالياً مديراً لبرنامج الاتصالات النائية ومركز المستقبل التابع لجامعة كولورادو.

وللمؤلف عين المبدع التي ترصـد ما تغفل عنه عيون البشر العـاديين، الذين يستسلمـون للألفـة والاعتياد على الأشيـاء، فتغمض عيونهم عن اكتشاف جوانب حميمة تحيط بهم، وهنا يأتي دور الفنـان والخبير ليحطم جدران الاعتيـاد ويوفـر لهم الرؤية.

يصيغ لنا جـوزيف بلتون الحقائق المجزأة التي نعـايشها ونعيش بها، في حقيقـة كبيرة هي أن ثمـة آلـة واحـدة، ولكنهـا ضخمة، تـدير عالمنـا، وتتمثل في نظام هائل من وسـائل الربط والاتصال، تشتمل على كابلات وهواتف وحواسيب وأجهزة بث والتقاط مختلفـة. وهذه الآلة موجـودة منذ زمن، وهي تتضخم يوماً بعـد يوم، ويمكنك أن تصفها - في أي وقت - بأنها أضخم وأثقل الآلات التي اخترعها الإنسان، وأكثرها تعقيداً..

قد يصعب تلخيص فكرتـه في هذا الخصوص، ولكن قارىء الكتاب لايملك إلا أن يتوقف قليـلاً ليراجع نفسه، ثم يهز رأسه موافقاً على تلك الفكرة التي تتوارى عنا، لأننا - في الحقيقة - لانرى الجزء الأعظم من تلك الآلة الالكترونية، فنحن نخفيها تحت أسفلت الشوارع، ونوظف لها مؤسسـات خاصة مهمتها تشغيلهـا داخل مبـان محصنة تمنعهـا عن أيـدي اللصـوص وعبث غير المتخصصين، كما أن جـزءاً من جسم هـذه الآلـة الضخمـة يمتـد بين القـارات مـدفـونـاً في قيعـان المحيطـات



صـــــورة لشعيرات الألياف الضوئية ذات القدرة الفائقة في الاتصالات

السحيقة، بالإضافة إلى أن بعض أطراف هذه الآلة قد حملته الصواريخ إلى الفضاء الخارجي، ليظل معلقاً هناك، بعيداً عن أعيننا، حتى نسينا، أو كدنا، أنه وطيد الصلة بهذه الآلة العظيمة التي يدور حول محورها عالمنا اليوم.

ولكي ندرك مدى أهمية وضخامة هذه الآلة، فلنتخيّل - والعياذ بالله - عطبها، ولنرى عواقب الأمور التي يمكن تلخيصها في أن ما يمكن عمله اليوم بسهولة يصبح مستحيلاً..

ثم ينتقل بلتون إلى صلب الكتاب الذي يقول عنوانه إنه يستشرف صور الاتصالات والتقانة في مجتمع القرن القادم. وتشير الدلالات إلى أن أهم التغيرات التي سيشهدها ذلك المجتمع تتركز في المجال الاقتصادي وعالم الأعمال.

والملفت للنظر أن المؤلف يحذر الدول المتقدمة من خطر جديد يهدد مجتمعاتها في القرن القادم .. من نوع عجيب من العمالة المهاجرة إليها، إذ يتوقع أن يهاجم طوفان ممن يسميهم بالنازحين الالكترونيين الذين تم إعدادهم وتدريبهم في الدول النامية، على مراكز العمل في الدول المتقدمة، فيحتلون الوظائف المتميزة، منافسين «ذوي الياقات البيضاء» من مواطني تلك الدول. ولايحسبن أحد أن هؤلاء النازحين الالكترونيين بشر ينتقلون بأجسامهم المادية من بلد لآخر، ولكن أفكاراً عبقرية وخدمات متنوعة في مجالات استخدام الحاسوب ومعالجة البيانات، تنقل إلى الدول المتقدمة عبر الأقمار الصناعية أو شبكات الألياف الضوئية، لتؤدي عملها في أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان. ومن مميزات هذه «العمالة الالكترونية» انخفاض تكلفتها، وسهولة الاستغناء عنها، إذا لزم الأمر، دون مشاكل من النوع الذي يجلبه استقدام مستخدمين يجلسون في المكاتب ويوقعون عند حضورهم وانصرافهم ويطالبون بالتعويضات ومكافآت نهاية الخدمة عند الاستغناء عنهم !.

ويؤكد المؤلف أن هذه الهجرة الالكترونية قد بدأت فعلاً، في الاتجاه من بعض الدول الأقل تقدماً، مثل جامايكا والباربادوس، إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعود بلتون ليحذر مرة أخرى، ويلفت نظر النقابات والمنظمات المسؤولة عن العمال، ويقول : إن اطراد التقدم في مجالات الالكترونيات سيجعل عدد ساعات العمل الأسبوعية ١٦٨ ساعة - هي مجمل عدد الساعات في الأسبوع - إذ ستعطينا التقانة الالكترونية عمالاً من نوع مختلف، هم الروبوتات، لايكلون ولايتوقفون، وستكون تكلفتهم أقل من تكلفة العمالة البشرية. ويرى أن تقدم هذه الآلات الذكية سيكون متوافقاً مع تزايد الاحتياج إلى استمرار العمل دون توقف في بعض المواقع والمؤسسات مثل الفنادق ومنافذ توزيع السلع ومكاتب الخطوط الجوية ومراكز التنبؤ بالطقس والبنوك العالمية. أي أن العالم من حولنا سيحول بفعل الآلة الالكترونية المتشعبة في أرجائه إلى حركة دائبة تدعونا - كما يشير بلتون ممازحاً - إلى إعادة النظر في مفهومنا لما نسميه «ساعة الذروة» حين تختنق الطرق بحركة المركبات والمشاة، إذ ستصبح كل ساعات اليوم «ساعة ذروة» !

ويقول المؤلف إن توسع نفوذ الآلة الالكترونية في حياة البشر مع تقدم القرن الجديد لن يؤدي إلى تسارع كبير في معدلات البطالة، إذ سيظل العمال البشريون مطلوبين في مواقع كثيرة، ولكن عليهم ألا يطالبوا برواتب عالية في ظل منافسة شديدة من الآلات التي تحركها الالكترونيات.

ويطلعنا بلتون على مزيد من صور النفوذ الذي سيكون للآلة الالكترونية الهائلة في مستقبل حياة البشر على الأرض في القرن القادم، فنرى معه أنها ستوفر لنا مزيداً من المعلومات، وستدنو بنا أكثر فأكثر إلى المناطق النائية، بحيث تعيد تشكيل فكرتنا عن مفهوم (القرب) أو (البعد)، بل إن على علماء الجغرافيا أن يعيدوا حساباتهم في ظل النفوذ الالكتروني القادم الذي سيجعل المدن توصف، لابموقعها الجغرافي (المكان)، ولكن بالزمان وبالقدرات الذهنية! وعلى ذلك، فإن مدينة مثل واشنطون قد تكون أقرب إلى لندن من مدينة أخرى تجاورها مكانياً في نفس الولاية.

ويدهشنا المؤلف بفكرته المستقبلية عن «المدن المترامية»

التي هي مجتمعات معلوماتية يربط بينها - برغم التنائي جغرافياً - أنظمة الكترونية. ويعطي مثلاً متوقعاً لتلك المدن، يطلق عليه : مدينة المحيط الهادي، وهي عبارة عن تجمّع ضخم يشمل كلا من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، تجمعها أنظمة معلومات فائقة التقدم. والعجيب أنه يعطي لهذه المدينة الالكترونية اسماً جديداً يشتقه على النحو التالي (JA-CAN-US) ، ويخلق لها مدينة أخرى في موقع المنافس تتكون من الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وروسيا.

ومن أغرب تصورات مؤلف الكتاب احتمال أن يشهد المستقبل نوعاً جديداً من الذكاء الخارق، ينتج من اتحاد امكانات العقل البشري مع الآلات الالكترونية الذكية، في (مخ كوني) هائل القدرات. بل إنه يتصور أن تؤدي الانقلابات الالكترونية المتوقعة إلى أن يوجد صنف بشري غير الصنف الذي ننتمي إليه (هومو ساينس)، يحمل اسماً عصرياً هو (هومو الكترونيكس) !. ويقول إن ذلك لن يكون سهلاً، وسيقابله غضب وسخط شديدان ..!

وما دمنا نحن البشر قد ارتضينا أن تحيط بنا هذه الآلة الالكترونية الضخمة، التي تشبه كائناً خرافياً لايكف عن النمو، فعلينا أن نعد أنفسنا لتحمل العواقب، وجني بعض الثمار المرة لما زرعته أيدينا. يتمثل ذلك في ثلاث صدمات تنتشر في مدى واسع، أولها صدمة البطالة، إذ سيشهد القرن الواحد والعشرون ضياع ٢٥ مليون فرصة عمل في مجال الصناعة. والمتوقع أن يزداد هذا العدد عندما يدخل إلى مجال الخدمات قوى عاملة من نوع جديد، مثل أنظمة الخبرة، والذكاء الصناعي. وسوف تلجأ العمالة البشرية التي تفقد وظائفها إلى اكتساب خبرات جديدة والاتجاه إلى وظائف أخرى، وقد يؤدي ذلك إلى التخفيف من حدة هذه الصدمة.

وعلى جيوش العمالة الفنية أن تحذر الصدمة الثانية التي ستتولد عن آلتنا الالكترونية الضخمة التي تتدخل بشكل متعاظم في جزئيات حياتنا، وهي صدمة فقدان المهارات التقانية عند كثير من فئات العمالة الفنية، إذ يتوقع المؤلف أن يزداد الاستغناء عن اليدين، بل عن إعمال العقل، لأن الآلة ستقوم بكل أنواع العمل، كالإحصاء والتحليل والتفتيش، وتكتفي بأن تعطيك ضوءاً أو صوتاً أو رقماً، لتقوم أنت بباقي العمل الذي لايتطلب مهارات خاصة.

أما الهزة أو الصدمة الثالثة فتتصل بعدم ثبات مكان العمل، فمن جهة، سوف تتيح الشبكة الالكترونية الواسعة الانتشار، الفرصة للموظفين الفنيين لتأدية أعمالهم في أي مكان، وقد لايجدون حاجة إلى مغادرة حجرات المعيشة في منازلهم طالما كان بإمكانهم أن يوظفوا تلك الالكترونيات لتنقل أفكارهم وآراءهم وأوامرهم إلى حيث يريدون. ومن جهة أخرى فإن نفس الشبكة سوف تعطي لأصحاب الأعمال امكانية نقل مكان العمل من (موقع) لآخر باستخدام الآلات الالكترونية التي ستكون هي (وسط) العمل، والتي يملكون مفاتيحها، وسيكون بوسعهم -خلال هذه العملية- الإطاحة بمن يريدون الاستغناء عن خدماته من الموظفين. ولعل هذه الظروف تستدعي التفكير في إعادة النظر في القوانين الحالية للعمل والعمال !! ■



نظام معلومات فائق التقدم يربط بين المدن والبلدان والقارات عن طريق تقانة الاتصالات بالحواسيب المشتركة



إحدى غرف الربط والتوزيع مع شبكة الاتصال تبدو فيها مجموعات من الأسلاك المتداخلة البالغة التعقيد في تنظيمها.



أساليب العلاج في
مدرسة علم النفس الإنساني

بقلم: د. حسن حسن ـ بريطانيا

برزت «مدرسة علم النفس الإنساني» كحركة واضحة منذ الخمسينات من هذا القرن، وبالتحديد مع صدور البيان التأسيسي للجمعية الأمريكية لعلم النفس الإنساني (AAHP) الذي كرّس هذه المدرسة كتوجّه في دراسة الحياة العقلية، وليس كمجموعة منظمة من علماء النفس الذين يتّبعون نهجاً موحداً في البحث والعلاج أو مجموعة متناسقة من الأفكار والنظريات.

هناك ثلاثة مبادىء مشتركة على الأقل، تقع في أساس المناهج العلاجية التي تتبعها هذه المدرسة، فهي تفترض اننا لكي نفهم علم النفس بشكل فعّال، نحتاج إلى ما يلي:

* **الوعي الذاتي**: من مميزات الإنسان إمتلاكه لوعي ذاتي، لذا فبدلا من تحليل الشخص من موقع المراقب الخارجي، فإن دارس علم النفس الانساني يحاول أن ينطلق من موقع الشخص نفسه كفرد (يركّز على وعي اللحظة الراهنة)، وقد أوسع في تفصيل ذلك «كارل روجرز» أبرز شخصيات هذه المدرسة.

* **الاختيار الشخصي**: إن اكثر ما يهم دارسي علم النفس الإنساني من ملامح الوعي الذاتي هو القدرة على الاختيار الشخصي. اننا في معظم الاحيان نشعر بهذه القدرة على الاختيار. فقد تشعر الآن مثلا، أن باستطاعتك - إذا رغبت - أن تلقي بهذا المقال أرضا وتتوقف عن قراءته، وقد تكون هناك ضغوط تفرض عليك قراءته أو تفرض التوقف عن قراءته. لكنك - حتى بانصياعك لأي من هذه الضغوط تثبت قدرتك على الاختيار، لأنك اخترت واحدا منها دون سواها وتؤكد مسؤوليتك الشخصية عن هذا الاختيار. وبتعبير آخر فإننا غالبا ما نرى أنفسنا «كفاعلين» محققين للأشياء أو الأفكار أو لوقف تحقيقها. تستطيع مثلا، ان تترك كل شيء وتذهب لتحضير فنجان قهوة لتستمتع به على الشرفة. لكن أي شيء تفعله - تحت أي ظرف أو ضغط - تكون أنت اخترته وأنت الذي فعلته بغضّ النظر عن مسؤولية الظروف أو الضغوط.

وهذا ينطبق أيضا على القرارات المهمة في حياة الإنسان. فلابدّ أن يكون لك مثلا بعض الخيار في تقرير ما إذا كنت ستتزوج أم لا؛ ممّن؟ وأيّ مهنة ستتخذ؟ هذا، مع العلم أننا قد لانمارس الاختيار احيانا، ربما بسبب الخوف أو التقاعس، أو ربما لأن نتيجة خيارنا ستكون وخيمة العواقب. وربما تكون هناك معوقات اجتماعية تؤثر على سلوكنا وقد تكون هذه المؤثرات طاغية. أو ربما نكون جاهلين بوجود المزيد من الخيارات.

* **الفرد كشخص متكامل**: يعالج هذا المبدأ مسألة المظاهر العديدة لشعورنا بالذات. ويشير إلى ضرورة اعتبار المظاهر كلا واحدا (أي اتباع الكلية، أو المنهج الكلي). فنحن موجودون في جسد وفي محيط اجتماعي، ومشاعرنا تتداخل مع افكارنا. لكن دارسي علم النفس الإنساني بدلا من أن يدرسوا هذه العمليات النفسية منفردة، يركزون انتباههم على الشخص المتكامل «ليس كمنطق مجرّد، ولا كآلية مجردة وإنما كوحدة قلب وعقل» (ماتسون ١٩٦٤م).

أسلوب مجموعات التلاقي:

يعتبر أسلوب «مجموعات التلاقي» أكثر الأساليب استخداما لتحقيق النمو الشخصي حيث يلتقي حوالى عشرة اشخاص بمن فيهم «المشرف»، إما بشكل منتظم أو في جلسة واحدة طويلة ومكثفة ربما تمتد على مدى عطلة الأسبوع. والأغلب أن يكون اهتمامهم منصبا على النمو الشخصي أو على تطوير وتحسين قدرتهم على التواصل مع الآخرين، أو كلا الأمرين معا. والهدف من هذا التلاقي هو توفير جو من الاهتمام يعطي الفرصة لأعضاء المجموعة لكي يشاركوا بحرية مع الآخرين في أي من أفكارهم ومشاعرهم وهي فرصة لكي يستكشفوا ما يشعر به الاعضاء الآخرين تجاه أنفسهم وتجاه بعضهم بعض.

وغالبا ما تدار مجموعات التلاقي على طريقة «روجرز» المرتكزة على الشخص، حيث يتم التأكيد على قبول الآخرين وعدم تقويمهم، كما يثني أعضاء المجموعة عن محاولة التبرير وعن إطلاق الاحكام على سلوكهم أو سلوك الآخرين. ويطلب

إلى الأعضاء أن يركّزوا على ما يحدث في اللحظة الراهنة داخل المجموعة وأن لايشتّوا عن حقيقة التجربة الراهنة بالحديث عن أحداث أخرى أو أشخاص ليسوا حاضرين. وفي المجموعة المرتكزة على الشخص، يترك للأعضاء حرية توجيه الجلسة حتى لو أدى هذا العمل إلى أن يجلسوا في صمت لفترة ما. ويتركز دور المشرف في هذه الحالة على تنمية جو من الثقة يشجع الأعضاء الآخرين على البدء بالتعبير بحرية عن مشاعرهم وافكارهم الحقيقية. والفكرة هنا، أنه عندما يشعر الأعضاء أنهم ليسوا في ظرف دفاعي وأنهم أحرار في التعبير عن حقيقة ما يشعرون به، فإن استعدادهم للإنصات لغيرهم والتعلم منه يزداد. كما يتضح لكل فرد منهم مدى اقترابه من الآخرين وتشابهه معهم. فيصبح التغير أمرا مرغوبا بدل أن يكون أمراً مرهوبا.

تهدف المجموعات إلى أن تنهج نهج الخبرة أو التجربة. وتحاول أن تدفع بأعضائها للمشاركة على الصعيد العاطفي والمادي وليس على صعيد الحديث والكلمات والأفكار. ويشجع أعضاء مجموعة التلاقي على الجلوس على الأرض أو على المساند في محاولة لتنمية جو من الشعور بالحرية الفكرية والجسدية. أو يستطيعون خلع احذيتهم والجلوس كجلوسهم في بيوتهم. كذلك يجري تشجيع التعبير غير الكلامي (لغة الجسد: الإيماءات والإشارات والحركات التي تعزز أو تشرح معنى الكلام، خاصة الانفعالي منه)، والمصافحة والشد على اليدين والتربيت على الكتف علامة التعزية أو المساندة أو مشاركة الهموم. كذلك، قد يميل بعض الأعضاء أحيانا إلى التنفيس عن مشاعرهم بالصياح أو الصراخ أو البكاء، ويميل الآخرون إلى مشاركتهم بالتربيت أو المعانقة. وتظل القاعدة الأساسية هي أن الأعضاء يجب أن يفعلوا ما يناسبهم أو يريحهم.

قام العالم النفسي «روجرز» بدراسة دقيقة لمجموعات التلاقي التي كان يديرها، والمجموعات التي يديرها زملاؤه. وتضمنت تسجيلا دقيقاً لمجريات كل جلسة. وقد لاحظ أن هناك ترتيباً معيناً للمراحل التي تمر بها المجموعة، حتى عندما تلتقي مرة واحدة تمتد على مدى عطلة الأسبوع. ففي المراحل الأولى، هناك غالبا إحساس بفقدان الإتجاه وتردد في التعبير عن المشاعر والآراء في ما تقوم به المجموعة. لكن في النهاية يبدأ الجميع بكشف مشاعرهم الحقيقية سواء السلبية أو الإيجابية وباستكشاف الأفكار التي أثارت كلا منهم أو عنت له شيئا. ويلاحظ روجرز، أن تقدم التواصل بين مجموعة التلاقي، يؤدي إلى ظهور طاقة غريبة على الشفاء بمعنى أن المجموعة تبدو وكأنها اكتسبت طاقة تلقائية على التعامل بأسلوب تعاوني مع أي ألم يعانيه أي فرد من المجموعة.

وتتميّز المراحل التالية التي تمر بها مجموعات التلاقي بالتعبير عن التقارب الحميم والمشاعر الإيجابية حيث يصبح الأعضاء أكثر عفوية ومساعدة لبعضهم بعضا. لكن أهم ملاحظة خرج بها روجرز هي أن تجربة التلاقي الأساس تشحن الشخص بطاقة تدفعه إلى تبادل المشاعر مع الآخرين وأن الشخص يستطيع الحفاظ على هذه الطاقة عندما يعود إلى بيئته، وإن هذه التجربة تستطيع أن تغيّر من نمط علاقاته القائمة مع الآخرين. وبالطبع، فإن هذه التغيرات في طريقة التعبير عن المشاعر يمكن أن تسبّب المشاكل ايضا. فالإنفتاح والتعبير عن المشاعر في بيئة العمل قد لايمكن مبادلته بالمثل أو حتي تقديره بشكل صحيح من قبل الآخرين. ولكن هذا التقارب الوثيق والثقة المتبادلة والانفتاح المريح الذي يمر به المشاركون في مجموعات التلاقي يظل يمثل بالنسبة لهم تجربة مرضية بحد ذاتها.

أسلوب التشاور:

بدأ العمل بهذا الأسلوب في الولايات المتحدة الأمريكية (جاكينز ١٩٦٥م). لكنه عدلَ وطورَ في بريطانيا على يد عالم النفس جون هيرون ١٩٨٠م وعلماء آخرين.

يعتبر الأشخاص المشاركون مصدر النشاط الرئيس في مجموعات التلاقي. فهؤلاء الأشخاص يتعلمون من خلال علاقتهم مع بعضهم بعض ومن خبرات الأفراد الآخرين في المجموعة. ومن النتائج التي وردت في إحدى الدراسات عن مجموعات التلاقي، أنه مع توفر الوعي الكافي لدي أفراد المجموعة للمبادىء الاساسية لهذا الأسلوب، فإن المجموعة بدون مشرف يمكن أن تكون فعالة ومفيدة، وأسلوب التشاور - الذي نتحدث عنه هنا - يستفيد في هذه النتيجة بالاستغناء عن المشرف أو المعالج بالكامل. فالمجموعة تقضي يومين في التدريب على مهارات اساسية مهمة في هذا الأسلوب، كالاستماع والإسناد. ثم يشكلون شبكة التشاور التي ينقسمون فيها إلى أزواج. ويتفق الشخصان في كل زوج على تبادل الأدوار بينهما كمستشار وكموكل. وهذا يتم بالطبع بعد أن يكون قد وضع لهما في فترة التدريب القواعد والاجراءات التي يجدر بهما ان يتّبعاها، لأن دور المستشار ليس كدور الصديق، وإن يكن موقعه واحداً.

ينطلق أسلوب التشاور من مجموعة مفاهيم اساسية تشترك في مصدرها الواحد وهو نهج التنفيس Catharsis (إطلاق المشاعر المكبوتة بإفساح المجال للتعبير عنها). اذ يعتقد أن استجابات الشخص الراشد يمكن أن تكبتها أو تشوّه حقيقتها عوائق أو حجب من اللاوعي كانت قد نتجت عن أذية نفسية لحقت بهذا الشخص في طفولته. وهدف التشاور هو تحرير الشخص من هذا الكبت بتشجيعه على الإطلاق الإيجابي لمشاعره المكبوتة هذه. وبتعلّم الشخص لكيفية وعي مشاعره هذه والتعبير عنها بدل كبتها، يتوصل إلى الإحساس بذات أغنى وأكثر انسجاما.

الأمر المثير في أسلوب التشاور هو أنه يبقي على فكرة المستشار أو المشرف كدور. ولكنه يلغي التفاوت السلطوي وميزة الخبرات الخاصة التي تنتج حتما عن وجود مستشار

أو مشرف حقيقي، فمحللو علم النفس الانساني عموما يعارضون بشدة العمل من موقع سلطوي. وهم يعتبرون أن أي معرفة يحوزونها هي أولا وقبل كل شيء حاصل خبرة العمل مع أنفسهم ثم مع الآخرين.

أسلوب علاج «جشتالت»:

يعتبر «فريتز بيرلز» من بين الدارسين الذين كان لهم أثر عميق في أساليب العلاج التي تنهج نهج علم النفس الانساني. وهو مبتكر أسلوب علاج «جشتالت». يستخدم «بيرلز» تعبير جشتالت (الذي يعني الكل أو الاكتمال) للدلالة على هدفه الأساس وهو أن يحفّز المريض للوصول إلى وعي أكبر لمشاعره ولقبول (الاعتراف بها) لكي يستطيع العيش ككل متكامل.

إن الأمور غير المحسومة، مثل موقف المريض من ماضيه، وغير هذا من المواقف التي كان قد جرى فيها كبت رغبته أو ميله إلى شيء ما بطريقة متزمتة وقاسية، هذه الأمور غير المحسومة تعيق عادة مسيرة تطور المريض باتجاه التكامل الذاتي (جشتالت). ويؤكد بيرلز - مثله مثل روجرز - على أن جذور هذا الكبت (أو هذه الأمور غير المحسومة) تنطلق من مرحلة الطفولة. لكنه لايحاول أن يحلل ماضي مرضاه، وإنما يركز على الحاضر. فأحد الأهداف الرئيسة لعلاج جشتالت هو تشجيع المرضي على الدخول في وعي تجربة اللحظة الراهنة. و «بيرلز» معارض شديد لمحاولات الشرح أو استجواب المريض. فهو لايثق بشروحات وتفسيرات المريض لحالاته النفسية أو يجد فيها مجرد طريقة لتهّرب المريض من مشاعره عبر عقلنتها. فإذا كانت هناك صفة أو شيء ما في نفس المريض يريد تغييره، فإن الطريقة المثلى هي أن يعي المريض هذه الصفة بأكبر عمق ممكن بدل أن يحاول ان يفسرّ أسباب اتصافه أو تميزه بهذا الشيء.

إن تركيز «بيرلز» على المشاعر بدلا من الكلمات يتضح من خلال حثه المشهور للمريض على أن «يفقد عقله ويعود إلى حواسه». فهو يشجع مرضاه على أن يدخلوا حالة وعي متيقظ للتعبير عن المشاعر الجسدية والحسية التي يمرون فيها في اللحظة الراهنة بدلا من الحديث عما يزعجهم عادة.

ويؤكد «بيرلز» أن من المهم اقرار المريض بمشاعره، وليس وعيها. ومن أسهل الأساليب لمساعدة المريض على الإقرار بمشاعره تشجيعه على استخدام ضمير المتكلم (أنا) في تصريحه عن مشاعره:

«المعالج: ماذا تشعر الآن؟

المريض: أشعر بيدي ترتجف.

المعالج: هل تستطيع ان تحمل مسؤولية مشاعرك بالقول «إنني أرتجف»؟».

إن أسهل الاساليب لتجنب المسؤولية هو قول «لاأستطيع». وقد حاول «بيرلز» أن يجعل مريضه يتحقق من أن هذا التعبير يعني: «لا أريد».

يتعامل المعالج مع عدد من المرضى في جلسة علاج «جشتالت» كما لو كان في ورشة عمل، لكنه يركزّ على كل مريض بمفرده. ويبدأ بيرلز نفسه مثلا مع ذلك المريض من تجربة اللحظة الراهنة ووعي المريض لنفسه خلالها، كما رأينا: كيف يجلس؟ كيف يتنفس؟ ما هو وقع صوته؟ وهناك الكثير من التمثيل (الدراما) عادة. فالمعالج يمكن أن يقلد وضعية جلوس المريض ورنة صوته. ويمكن أن يطلب إلى المريض أن يلعب دور المعالج ويطرح الانتقادات التي يعتقد المريض ان المعالج يمكن ان يوجّهها له.

يعتقد «بيرلز» أن هناك عاملا أساسيا يفسد «الجشتالت» الخاص بنا (أي قدرتنا على العيش في شخصية كلية مندمجة ومتوازنة). هذا العامل هو كوننا نعيش في مجتمع يتطلب منا أن نلعب دور المهيمن لكي يتم كبت المظاهر الأخرى لذاتنا. وكان «بيرلز» غالبا يتبع طريقة «الكرسي الخالي» لتشجيع مريضه على استكشاف صراعاته الداخلية والتعبير عن مظاهر الذات وأصواتها المختلفة هذه بشكل منفصل. فيمكن للمريض عندئذ أن «يجلس» أحد هذه الاصوات «في خياله» على الكرسي الخالي أمامه ويتحادث معه. ويمكن، بهذه الطريقة، استحضار صوت داخلي أو شخصية معينة من حياة المريض والتحادث معها أو إعطاءها الفرصة للتحدث إلى المريض.

يعطي المعالج المرضى شعوراً بالأمان في «ورشة» علاج جشتالت. ويشجعهم على تنفيس مشاعرهم المكبوتة بالصراخ أو البكاء أو حتى الصياح في وجه المعالج. ويعتقد «بيرلز» أن هذا الاسلوب يساعد المرضى على فهم وتقبل أنفسهم وعلى تنفيس المشاعر المكبوتة وعلى تحفيز الحيوية والنزعة العفوية لديهم.

يمر أسلوب علاج «جشتالت» في مرحلة ازدهار عظيم في الغرب. إذ تتبعه معظم مجموعات العلاج النفسي مركّزة على اللحظة الراهنة وعلى المشاعر بدلا من البحث عن الأسباب، ومعظم هذه المجموعات تستخدم تمرينا أو أكثر من علاج «جشتالت» مثل تمرين الكرسي الخالي.

أسلوب المعالجة اليدوية وأسلوب الطاقة الحيوية:

يتوجه أسلوب المعالجة اليدوية إلى الجسم مباشرة كأساس لتجربة الوعي الجسدي، وينطلق هذا الأسلوب من أفكار العالم النفسي «ويلهيلم رايش» الذي كان من زملاء «فرويد». ويعتقد «رايش» أن الصرعات اللاواعية والعقد النفسية غالبا ما تنعكس في وقفات وجلسات المريض ومؤثراته العضلية المزمنة. فنحن مثلا نصاب بالمباغتة إذا هوجمنا فجأة. وهذا ما يفعله الطفل ايضا. فإذا تكرر هذا الهجوم المفاجيء كثيراً أصبحت المفاجأة خصلة جسدية. لكن الهجوم الجسدي هو مثال واحد للتجارب الصعبة التي نمر بها في طفولتنا، حيث إن معظمها يمثل هجوما نفسيا. والجفلة مثال واحد لآثار هذه التجارب،ويجري ـ في علاجها ـ استخدام المساج أو التمرين الجسدي للعمل مباشرة على حل التوتر

العضلي أو عدم الانسجام الجسدي، الأمر الذي ينتج بإطلاق الطاقة المكبوتة.

هذا هو المبدأ نفسه الذي يتبعه المعالجون باستخدام أسلوب الطاقة الحيوية (Bionergetics). فأسلوب المعالجة اليدوية والتمارين الجسدية الذي يتضمنه، يكفل استحضار المشاعر العميقة وذكريات الطفولة الدفينة إلى الوعي الحاضر. ويدّعي أحد دارسي هذا الاسلوب والمعالجين به (روان ١٩٨٣م)، بأن هذا الأسلوب يمكن أحيانا أن يستحضر مواد اللاوعي بسرعة كبيرة ومفاجئة قد لايستطيع المريض التعامل معها، فيستخدم المعالج عندئذ العلاج النفسي. لكنه يلجأ إلى المعالجة اليدوية لتفتيح وإطلاق المشاعر المكبوتة.

أسلوب التركيب النفسي:

أول من بادر باستخدام هذا الأسلوب العالم النفسي «روبرت اساجيولي» الذي بدأ عمله كمحلل نفسي. ثم ابتعد عنه ليطّور نهجه الخاص لأنه شعر بأن التحليل النفسي لايعطي الاعتبار الكافي لبحث المريض عن معنى و«قيم سامية» في حياته، كالوعي الديني والحب والحنوّ والحكمة والفرح.

ويعد أسلوب التركيب النفسي مثالاً جيداً للنهج التكاملي فهو يهدف إلى زيادة التوازن أو التركيب (التلاحم) بين مختلف مظاهر حياة المريض: الفكرية والشعورية والروحية. ويتعاون كل من المعالج والمريض على تنفيذ خطة إعادة تركيب واعية لشخصيته. ويسعيان معا إلى استكشاف طاقات المريض الكامنة، وتعزيز وإنضاج الجوانب التي لم تطور بعد في شخصيته، وتنشيط طاقاته النفسية وإعطاء اتجاه لها.

ومن التوازنات التي يجري السعي لتحقيقها التوازن بين نهجين للتعامل مع تجربة الوعي: نهج شرقي (حدسي؛ صوفي) ونهج غربي (عقلاني؛ براجماتي). وبما أن النهج العقلاني مسيطر في الحضارة الغربية، فإن أسلوب التركيب النفسي يركز على تطوير النهج الحدسي. ويهتم «اساجيولي» بالتحديد بتشجيع تطوير الذات العليا أو بتعبير آخر، الوعي الروحي.

فهو يفترض وجود اللاوعي، ووجود ما يسميه بالوعي الأعظم. وكما أن اللاوعي يعتبر في النهج الفرويدي مستودع دوافعنا البيولوجية، فإن الوعي الأعظم، في نهج «اساجيولي» يعتبر مصدر تطورنا الروحي.

يولي «اساجيولي» اهتماما كبيراً لمسألة الإرادة ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على دور الوعي في توجيه وتنظيم الشخصية. ويقدّم في كتابه «عمل الوعي» ١٩٧٣م تحليلاً مفيداً لطبيعة الإرادة، ويقترح بعض الأساليب لتطويرها. فهو لايعتبر الإرادة وسيلة لتحقيق الانضباط والتوجيه الذاتي. وانما وسيلة «لتحقيق» الذات. فنحن بممارستنا للاختيار وللإرادة نستطيع ان نشكل ونعي ما نؤول اليه.

يفترض في أسلوب التركيب النفسي، أن على كل فرد أن يجد طريقه وهدفه في الحياة. فالمشرفون على هذا العلاج يتخيرون الأساليب من مختلف المصادر: التحليل النفسي، وعلم النفس الشرقي وحتى التمارين الرياضية. وقد يستخدمون الكثير من هذه الأساليب معا. كما يستخدمون أساليب التأمل وطرق تركيز الوعي وتوجيهه. فيتعلم بعض المرضى مثلا، كيف يشكلون الصور الواضحة في مخيلتهم، لكي يتمكنوا فيما بعد من تخيل الأعمال أو الحالات المحددة التي يرغبون التوصل إلى تحقيقها. وقد يجري استخدام الخيالات الرمزية، والخيالات الموجهة. ففي إحدى هذه الخيالات الموجهة مثلا، يطلب إلى الشخص أن يسترخي أولاً. ثم يطلب اليه أن يتخيل بالتفاصيل رحلة تسلق لأحد الجبال العالية حيث يجد على قمة الجبل رجلا عجوزاً. وبإمكانه أن يسأل العجوز أي سؤال يرغب ويتلقى جوابا عليه. بعد هذا يجري اعتبار هذه التجربة كطريقة للحصول على الإرشاد الباطني الحدسي من «الذات العليا».

الخيال الموجّه:

ابدأ بالاسترخاء، وبعد هذا، أغلق عينيك. تخيل طريقا طويلة تمثل مسيرة حياتك. سر على هذه الطريق حتى تصل بعد قليل إلى مفترق طرق تمثل خيارات الحياة المفتوحة أمامك. استكشف هذه الطرق. كيف تبدو؟ وكيف تشعر بها واحدة واحدة (هل هي وعرة؟ سهلة؟ شائكة؟ متعرجة وطويلة الخ؟) اختر واحدة من بينها. ثم سر وانظر إلى أين تقودك: كيف تبدو الطريق بعد هذه المرحلة من مسيرة الحياة؟ وكيف تشعر بها؟ حاول أن ترى وتعي المعالم الرئيسة التي تمر بها على الطريق. بعد هذا، تأمل الافكار التي قد يوحي اليك بها هذا النشاط، حول نهجك الحالي في الحياة وناقش هذه الافكار مع صديق مارس هذا النشاط.

تقويم عام:

لعل أفضل تقييم لأساليب علم النفس الإنساني، خاصة ما يتعلق منها بالنمو الشخصي، يتمثل في اعتبارها نوعا من التعليم أكثر منها نوعا من العلاج. لقد جرت محاولات لتقويم هذه الأساليب، ولكن تقويمها أشبه بتقويم الكتابة الفنية أو العلاقة الإنسانية، ففي حالة الكتابة الفنية، الكثير يعتمد على تجربة الكاتب الشخصية وطريقته الفنية في نقلها، وهاتان لاتخضعان لمقاييس دقيقة. وفي حالة العلاقة الإنسانية، فإن الكثير يعتمد على مدى الإستغراق فيها مما يحمل بعض المخاطرة، لأن الاستغراق في العلاقة الإنسانية يتطلب عطاء أو التزاما. وهذا ما تتطلبه بعض أساليب العلاج.

لقد صبغت مفاهيم وأساليب علم النفس الإنساني الكثير من مظاهر الحضارة الغربية تماما كما فعلت مدرسة التحليل النفسي من قبلها. ونستطيع أن نرى هذه الآثار في بروز عدد من الحركات التحررية الشخصية أي التي تسعى لتحرر الفرد وبروز أنماط وأساليب معيشية جديدة لبعض الجماعات مثل جماعات «حركة العصر الجديد» (NEW AGA). لكن آثار علم النفس الإنساني تعدّت كل هذا، لتدخل مسرح الحياة اليومية ويتم تطبيقها حتى في مواقع العمل ■

المصادر:

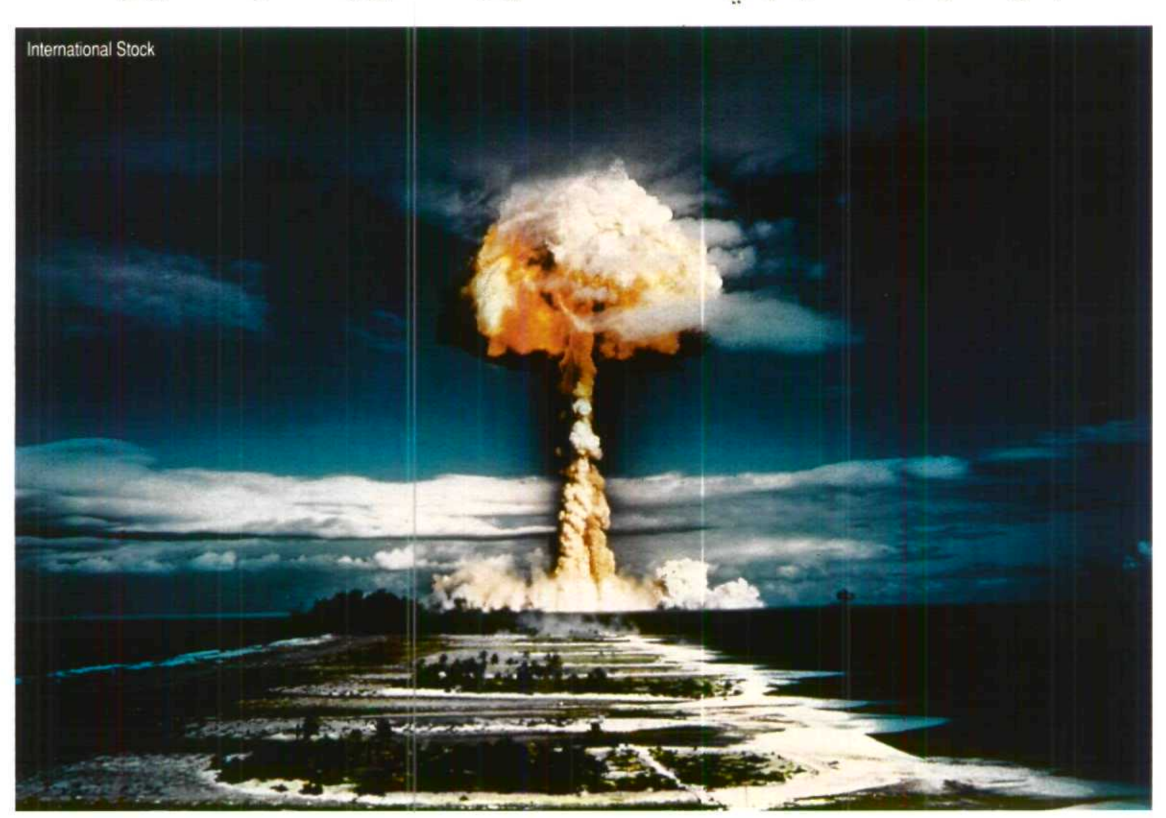
1 - Assagioli, R. Psychosynthesis, New York: Dorman & Co., 1965.
2 - Assagioli, R. The Act of Will, New York: Viking Press, 1973.
3 - Heron, J. History and *Development of Co-counselling*, Self and Society, Vol. 8, no. 4, 1980.
4 - Jackins, H. The Human Side of Human Beings: the Theory of Re-evaluation Counselling, Seattle, Wash.: Rational Island Press, 1965.
5 - Levitsky, A. and Perls, F.S. The Rules and Games of Gestalt Therapy, in Fagan, J. & Shepherd, I.C. (eds) Gestalt Therapy Now: Theory, Techniques, Applications, Palo Alto, Calif.: Science and Behaviour, 1970.
6 - Matson, F. The Broken Image, New York: George Braziller, 1964.
7 - Rogers, C.R. Encounter Groups, Harmondsworth: Penguin, 1970.
8 - Rogers, C. R. On Growing Older, Journal of Humanistic Psychology, 1987.
9 - Rowan, J. The Reality Game: A guide to Humanistic Counselling and Therapy, London: Routledge and Kegan Paul.

القرن العشرون :

التحوّل الأعظم في تاريخ الإنسان

بقلم : د. أحمد كنعان - الدمام

تقف البشرية اليوم في المحطة الأخيرة عند بوابة الخروج ، متأهبة لوداع القرن العشرين، فما هو الدرس الأهم الذي يمكن أن نتعلمه من هذا القرن، الذي كان بحق نموذجاً متميزاً في فلسفة التغير والتطور والتحولات الكبرى؟



كانت آثار تحولات القرن العشرين حاسمة في تغيير وجه العالم

يجد الراصد لتطور حركة التاريخ عبر العصور نفسه حيال نموّ بطيء سارت عليه البشرية منذ فجرها الأول، دون أن يلاحظ قفزات متميزة، ما عدا قفزات قليلة يفصل بينها قرون طويلة، منها مثلاً : تعرف الإنسان على الزراعة قبل حوالي ٦٠٠٠ عام، وتعلمه الكتابة قبل حوالي ٥٠٠٠ عام، ثم اختراعه الطباعة قبل ٥٠٠ عام، وفيما عدا هذه القفزات فقد ظل الخط أفقياً بطيئاً إلى أن أهلّ القرن العشرون، وعندها اهتز خط النمو بعنف، واتجه نحو الأعلى معلناً عن نقلة فريدة في حياة الإنسان. وقد ساهم في صنع هذه النقلة عدد من الاكتشافات والاختراعات التي أسفر عنها القرن الماضي ومطلع القرن الحالي .. وكان من نتيجة ذلك أن دبّت في أوصال عالمنا موجة فريدة من التغيير لم تشهد لها البشرية مثيلاً من قبل .. وقد تعاظمت فيما بعد تلك الاكتشافات وبلغت من الكثافة في أواسط هذا القرن أنها باتت تهدد بانقراض كل الذين فقدوا القدرة على التكيف معها، وأصروا على دفن رؤوسهم في الرمال.

ولم يقتصر مدّ هذه الموجة على الحياة الصناعية أو العلمية فحسب، بل إنه تعدى ذلك متغلغلاً في أعماق البنية النفسية والاجتماعية والسياسية لعالمنا، حتى بدا لنا عالماً جديداً كأن لم نعرفه من قبل !

سمات القرن :

أما ملامح هذه الموجة فتبرزها سمتين رئيستين على هذا النحو :

السمة الأولى : تحول مراكز القوة والقيادة من أيدي الساسة إلى أيدي الذين يملكون وسائل الإنتاج العلمي، مما أجبر المؤسسات السياسية التقليدية على التنازل عن نفوذها لصالح الهيئات العلمية الجديدة، خاصة تلك التي تتحكم بوسائل التقانة والاتصال.

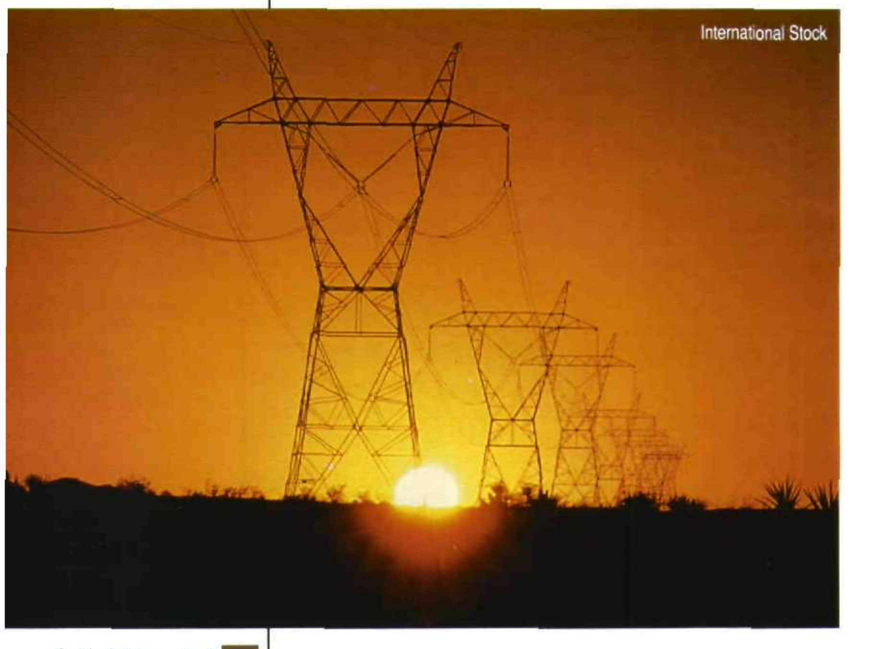
السمة الثانية : تبدّل صورة العالم، فبعد أن كان العالم مقسماً في الماضي إلى شرق وغرب، تبعاً للولاء السياسي، أصبح اليوم مقسماً إلى دول سريعة الخطو، وأخرى بطيئة تبعاً لمقدار استجابتها لتغيرات العصر.

وبالضرورة فإن هذه التغيرات العميقة وضعت العالم على مفترق طريقين لاثالث لهما : أحدهما ينتهي بالخروج من حلبة التاريخ ! والآخر يتجه نحو المستقبل بكل ما ينطوي عليه من تحديات ومفاجآت، وكل ما يعد به أيضاً من آمال عريضة وأحلام وإنجازات.

وهذا ما يحتم على أصحاب الخيار الثاني بذل المزيد من الجهد في صراعهم مع موجات التغيير المتتالية وتجاوز العقبات، وإلا تجاوزهم الزمن، وفَصَلَهم عن الركب، خاصة وأن الدلائل تشير إلى أن حياة القرن القادم مقبلة على مرحلة من التغيير سوف تنقل البشرية نقلة واسعة، لاتقل عن تلك النقلة التي اجتازها الإنسان من الطور الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾ إلى الطور الذي وصفه عز وجل بقوله : ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ !

صدمة المستقبل :

ليست المشكلة فحسب في حجم التغير الذي حدث في عالمنا حتى اليوم، بل إن المشكلة الأهم، هي في تسارع هذا التغير .. فقد أكدت الدراسات والبحوث التي أجريت في ميادين العلوم المختلفة أن جيلنا الحالي يبدو وكأنه قد ولد في منتصف التاريخ، لأن ما حدث لجيلنا منذ ولادته حتى الآن يعادل تقريباً كل ما حصل في التاريخ البشري منذ آدم عليه السلام حتى اللحظة الراهنة.

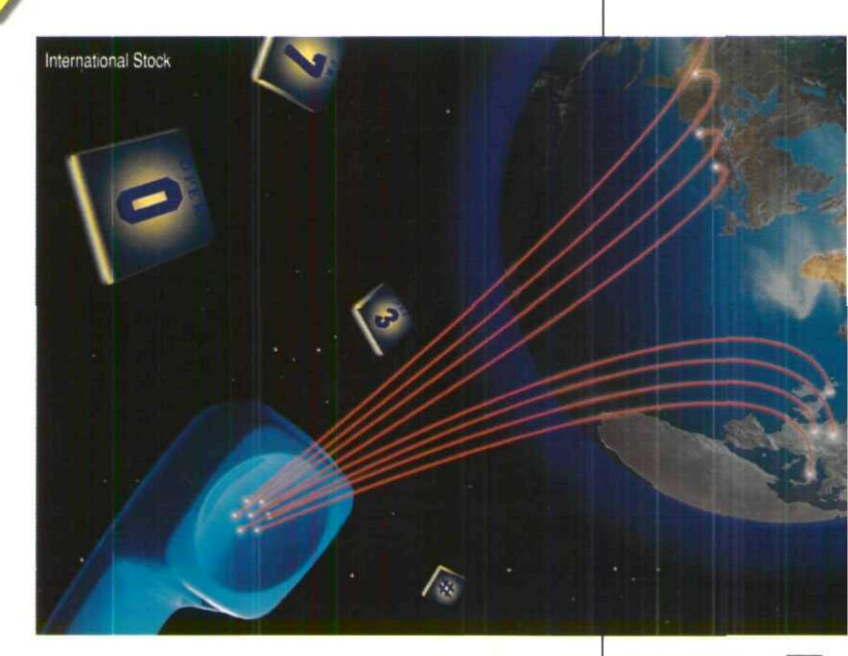


International Stock

لم تعرف الطاقة الكهربائية إلا في نهاية القرن الماضي.

وقد حاول المفكر الاجتماعي المستقبلي (ألفين توفلر) في كتابه القيم (صدمة المستقبل) أن يصور معدل سرعة التغيير عبر التاريخ البشري، فقال : «إن الخمسين ألف سنة الأخيرة من عمر الإنسان لو قسمت إلى أجيال عدة، عمر كل جيل منها ٦٢ سنة –وهو متوسط عمر الإنسان– فإن ناتج القسمة يكون حوالي ٨٠٠ جيلاً مرت في تاريخ البشرية على هذا النحو:

- أنفق الإنسان منها ٦٥٠ جيلاً داخل الكهوف.
- أمكن التواصل بين الأجيال بواسطة الكتابة خلال السبعين جيلاً الأخيرة.
- لم يتح لجموع الناس أن تطلع على الكلمة المطبوعة إلا خلال الأجيال الستة الأخيرة فقط.
- لم تتوفر للإنسان أية وسيلة دقيقة لقياس الوقت إلا في الأجيال الأربعة الماضية.
- لم يعرف المحرك الكهربائي إلا في الجيلين الأخيرين.
- لم تظهر غالبية الأدوات والأجهزة التي ننعم بها حالياً إلا خلال جيلنا الحالي فقط.



توصل الإنسان إلى اختراع الهاتف بعد ٥٦ سنة من النظريات العلمية

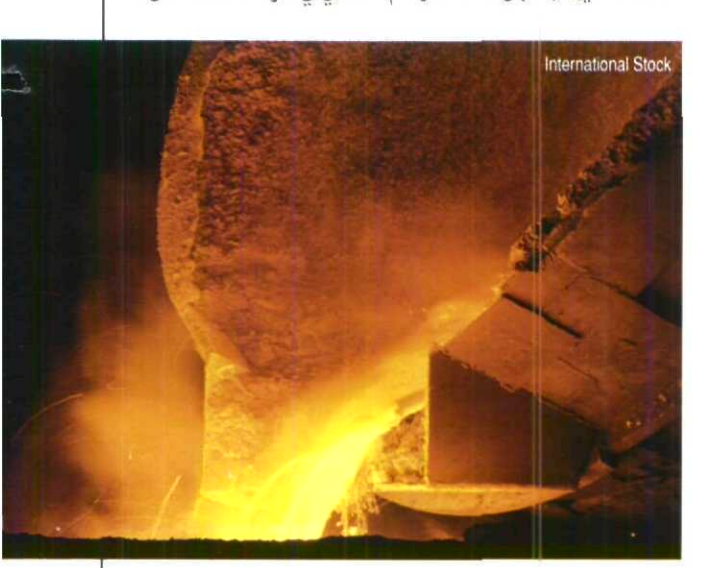
من الكهوف إلى الذرة :

نلاحظ من خلال التقسيم الزمني السابق الذي يحمل دلالات عميقة أن الإنسان قد قضى الشطر الأكبر من تاريخه داخل الكهوف، مثل بقية حيوانات الغابة، ولم يخرج من عزلته القاسية تلك إلا منذ وقت قريب جداً، أي حين تعلم الكتابة، لكن إيقاع حياته - بالرغم من هذا - ظل هادئاً بطيئاً إلى أن اكتشف الطاقة البخارية قبل حوالي ٢٠٠ عام، ثم الطاقة الكهربائية قبل حوالي ١٢٠ عاماً، وعند ذاك بدأ التغير الفعلي في حياته، ودب التسارع في كل ما يحيط به، حتى وصل في عصرنا الراهن إلى درجة تحيرّ الألباب .. وللتدليل على عنف هذا التسارع نورد هذه المقارنة الطريفة بين الفترات الزمنية التي كان يستغرقها الوصول من الكشف العلمي النظري إلى التطبيق العملي في ميدان الإنتاج والصناعة، منذ مطلع الثورة الصناعية :

- فقد احتاج الإنسان إلى ١١٢ سنة (١٧٢٧ - ١٨٣٩م) لتطبيق المبدأ النظري الذي يبنى عليه التصوير الفوتوغرافي.
- و٥٦ سنة (١٨٢٠ - ١٨٧٦م) لكي يتوصل عبر النظريات العلمية إلى اختراع الهاتف.
- و ٣٥ سنة (١٨٦٧ - ١٩٠٢م) لاكتشاف الاتصال اللاسلكي.
- و ١٥ سنة (١٩٢٥ - ١٩٤٠م) لاكتشاف الرادار.
- و ١٢ سنة (١٩٢٢ - ١٩٣٤م) لاكتشاف التلفاز.
- و٦ سنوات (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) لاكتشاف القنبلة الذرية.
- و ٣ سنوات (١٩٥٩ - ١٩٦١م) لإنتاج الدوائر المتكاملة.

التغير وحتمية التفاعل :

لعل الحديث عن طبيعة التسارع الذي سجله الإنسان عبر تاريخه يزيد الصورة وضوحاً، ففي سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد كانت أسرع وسيلة نقل للمدى البعيد متوفرة لدى الإنسان هي قافلة الجمال التي كانت تسير بمتوسط ٨ أميال في الساعة، وظل هذا المستوى بلاتعديل إلى حوالي سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد حين اخترعت العربة ذات العجلات، وارتفع معدل السرعة إلى حوالي ٢٠ ميلاً في الساعة. وفي الثمانينيات من القرن الماضي، وبفضل القاطرات البخارية المتطورة، استطاع الإنسان أن يصل لأول مرة في تاريخه إلى سرعة ١٠٠ ميل في الساعة، لقد احتاج الجنس البشري إلى آلاف السنين ليسجل هذا الرقم الحدي في سرعة الانتقال،



اعتمدت البشرية منذ بداية القرن على مجموعة وسائل صناعية ضمنت استمرارية تطورها وازدهارها

ولكنه احتـاج إلى ٥٨ عاماً ليصل بهـــذا الحد إلى أربعة أمثـاله، فقـد استطـــاع في سنة ١٩٣٨م أن يطير بسرعـة ٤٠٠ ميـل في الساعـة، ثم احتاج عشرين عاماً فقط لمضاعفـة هـذا الحد، وفي الستينيـات مـن هـذا القـرن وصلت سرعـة الطائرات الصـاروخية إلى ٤٠٠٠ ميل في الساعـة واستطاع الإنسان أن يدور حـول الأرض فـي كبسولات الفضاء التـي تسير بسرعـة ١٨٠٠٠ ميل في السـاعــة، ولـو استطعت أن تختزل هذا التقدم في رسم بياني لاكتشفت بعين الخيـال الخط الذي حققه جيلنا وهو يقفز عالياً إلى خـارج الصفحة.

مثل هذه النقلات النوعية في تاريخ الإنسان أجبرته على أن ينظر بـاستمرار إلى المستقبـل، وهو أمر متـوقع، طـالما أن هذا التسـارع فرض حتميـة التفـاعل معـه، وإلا تعـرض لصدمـة عنيفـة تفقـده القـدرة على التكيف، فمن المعـروف أن التغير مهما كان ضئيـلاً لابد أن يترك آثاره في حياة الإنسان، كما تؤكد أبحاث علمي النفس والاجتماع، وكلما كان التغيير أعنف كلما كانـت آثـاره علـى الفـرد والمجتمع أشـد وأعمق، وأحيانـاً مدمرة !!

أثــر التغـيـر :

يحـضرنـي في هـــذا الصدد مثل بسيط على مـدى ما يحدثه التغير من أثـر في حياة أي منا، وأنـا أسوق هـــذا المثل مـــن واقعـــة عشتهـا بكـل تفاصيلهـا، وقـد حدثـت لأحـد أصدقائـي المقربيـن، فبعـد أن نلنـا الشهـادة الثانوية، ولكون حال أسرة هذا الصديق ميسورة، فقد كان والده يتطلع إلى تعليمـه في إحـدى الجامعـات الأوروبيـة، كـدأب أصحـاب الثراء العـريض في ذلك الزمـان فأرسله إلى بـاريس، عاصمـة النور كما كانوا يطلقـون عليها، وكان صاحبي شـاباً حيياً، منطوياً على نفسه، دأب غالبية المتفـوقـين.

وقـد وقعــت الكارثـة بعـد أيام قليلة مــن وصــول صاحبـي إلـى عاصمـة النـور، إذ لـم تحتمـل أعصابـه المرهـفـة تلـك النقلـة الواسعـة من بيئته الريفيـة المحافظــة، إلى تلـك البيئـة الأوروبية المتحـررة، الحافلة بشتى أنــواع الـغرائـب والعجائــب، فأصيب بنـوع مــن الاكتئاب النفسي الحاد الـــذي لم يلبث أن تحول إلى انفصام نفسي. وقـد رأيته آخـر مرة عـام ١٩٩٢م، وكان مـا يزال يعاني من نوبـات الفصام بين الحـين والآخـر، وكـان عاجزاً حتـى فـي حالات صحوه عن التواصل مع الآخرين.

إن هذه الحادثـة تعلمنا أننا مـا لم نسارع لتهيئـة أنفسنا للتغيرات المتلاحقـة التي أصبحنا كل يـوم نصحو على جـديد منهـا، فإننـا سوف نكون في المستقبـل القريب على موعـد مـع صـدمـات لاتقل عنفـاً ولاتدميراً عن تلـك الصدمــة التي طـوت صاحبـي، وأخرجتـه من حـالة الـوعي، إلى متاهـة الذهـول والضيـاع. وهـذا درس عظيـم يفتـرض بنا تعلمه من القـرن العشريـــن الذي كـــان بحق نموذجـاً متميـزاً في تاريخ الإنسان.

احتـاج الإنسـان إلى آلاف السنين ليسجل سرعـــة قــدرهــا ١٠٠ ميل في الساعـة. بينما احتاج إلى سنـوات قليلـة ليسجل سرعــــة ٤٠٠٠ ميل في الساعة بوساطة الطائرات الصاروخية



International Stock

وبــعــد :

لعل أهم ما امتاز به هذا القرن أنه لم يكن كغيره من القرون الغابــرة التي عاش أهلها قبل نسبية آينشتاين، في كون ثلاثي الأبـعـاد لـم يحسبوا فيـه للزمان حسابـاً !! وأمـا القــرن العشـرون فقـد أدخل الزمان في حسابه، وعلّمنا أن للثانية، بل لأجزاء الثـانية قيمة، ولهذا كـانت التحولات فيـه سريعة، وكانت آثارهـا حاسمة في تغيير وجه العـالم، وكل هذا حدث في زمن قيـــاسي لم يخطـر ببـال البشر الـــذين لم يسمح لهم بالدخـول إلى قاعـة دروس هذا المعلّم القدير الـذي يسمونه .. القرن العشرين ■

المراجع

١ - الفين تـوفلـر - صـدمـة المستقبل - نهضـة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٠م.

٢ - فـؤاد زكـريـا - التفكير العلمي - ذات السـلاسل - الكويت ١٩٨٩م.

تحوّلات القاهرة وتبدّلات أشكال التعبير الأدبي عنها

بقلم : د. صبري حافظ - بريطانيا

إذا كانت القرية العربية قد حظيت بقدر ملحوظ من عناية الأدب، فإن المدينة هي التي استأثرت بالنصيب الأوفر من اهتمامات الكاتب العربي، منذ البدايات الباكرة للأدب العربي الحديث وحتى الآن. وليس هذا الأمر بغريب، فقد انبثق الأدب العربي الحديث من قاعدة حضرية، وتوجه في المقام الأول إلى قارىء يعيش في المدينة، وتتشابك مكوناته الاجتماعية والنفسية والحضارية معها، ويتعامل مع قضاياها ومشاكلها،

إن التجربة الحضرية تفرز تأثيراتها الأدبية من خلال الموضوعات والقضايا، التي يتبدى عبرها أن حياة الإنسان في المدينة العربية، هي المصدر الأساس الذي يستلهم منه الكثيرون ابداعاتهم الأدبية بالإضافة إلى علاقة التفاعل الخلاقة بين تحولات المدينة وتبدلات مصائر إنسانها، وبين التغيرات التي تنتاب الأدب الذي يتعامل مع تجاربها المتحولة، وتؤثر في طبيعة الخطاب الحضري شكلاً ومضموناً : نصا ولغة، وتساهم في صياغة قواعد الحساسية الأدبية، وعناصر التلقي المحددة لطبيعة الاستجابة الفنية للنص الأدبي.

الواقع أن دراسة تبديات التجربة الحضرية في الأدب تتطلب المزج بين موضوعين، هما : علم الاجتماع، الذي يتخصص في سبر أغوار التجربة الحضرية، ومعرفة خصائصها ومشكلاتها، والنقد الأدبي، الذي يتناول الطريقة التي تعالج بها الأعمال القصصية موضوعاً معيناً. وهو مزج يعد بإثراء الموضوعين معاً. ويقع في نطاق نشاط معرفي جديد، هو علم اجتماع الأدب. فالمدينة هي البؤرة التي تتجمع فيها أرقى سمات الحياة الاجتماعية، والثقافية، والعلمية، وأشد أشكالها تخلفاً وتأزماً في الوقت نفسه، لأنها ليست مجرد مكان محايد لحياة الإنسان، بقدر ما هي منهج لهذه الحياة، يساهم في تشكيلها وصياغتها، بقدر ما يضخم انجازاتها واحباطاتها معاً. ولذلك فإن التجربة الحضرية من أغنى التجارب الاجتماعية، ومن أكثرها تأثيراً في حياة البشر. إذ يمتد نفوذها إلى ما وراء حدود المدينة الجغرافية، ويؤدي إلى إحداث تأثيرات عميقة في أبعد المناطق عنها، لاتتناول مظاهر الحياة المادية وحدها، وإنما تؤثر، وهذا هو الأهم، على قيمها، وتصوراتها، ورؤاها، وتعيد طرحها، وترتيب أولوياتها من جديد، كل فترة من الزمن.

فالمدينة، على عكس الوحدات الاجتماعية السابقة عليها، من ريفية، أو رعوية، أو صحراوية، لاتتسم بالثبات النسبي، وإنما بالنزعة الدائمة إلى التغيير، وهذا ما يؤدي إلى سيولة التجربة الحضرية نفسها، وإلى استمرارية تأثيرها على المجتمع برمته. ولايقتصر هذا التأثير المستمر، على انماط الحياة الاجتماعية والقيمية وحدها، وإنما يتعداه إلى أشكال التعبير الأدبي المختلفة. لأن التحولات التي تنتاب الحياة في المدينة، ما تلبث أن تلقي بظلالها الكثيفة على الآداب التي ينتجها أبناؤها، وعلى اللغة التي يستعملونها، والصور التي يرسمونها، والموسيقي التي يعزفونها، وغير ذلك من الأنشطة التعبيرية والإبداعية.

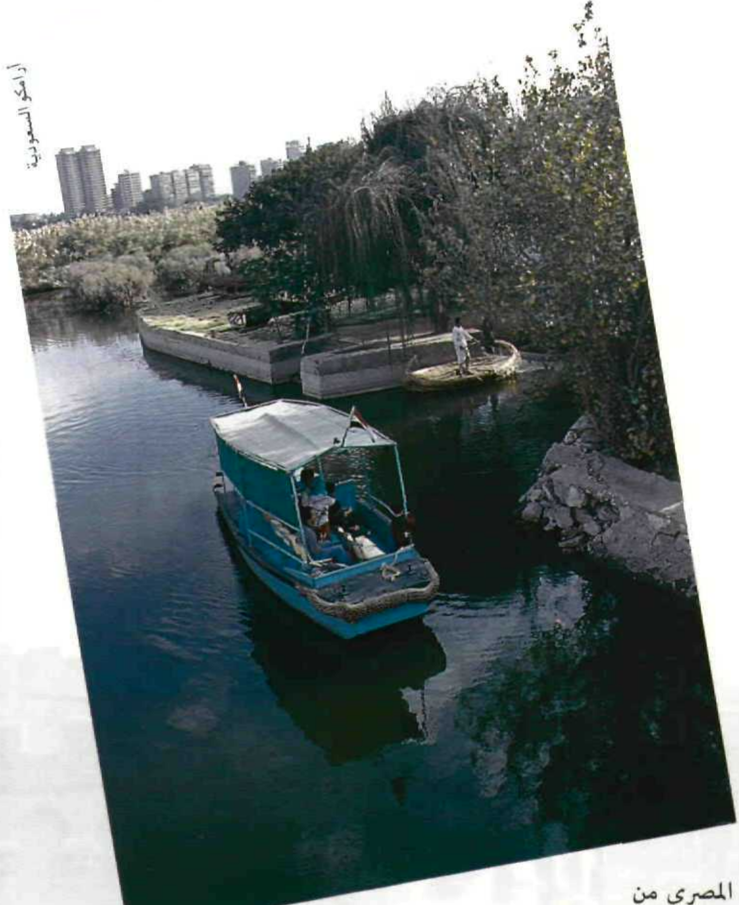
والواقع أن تغلغل التجربة الحضرية، في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والعقلية، ليس بظاهرة جديدة على المنطقة العربية، لأن أولى المدن الكبرى في تاريخ الإنسان قد انبثقت عن الحضارات المصرية، والآشورية، والبابلية، والفينيقية القديمة، على ضفاف النيل ودجلة، أو على شواطىء البحر الأبيض المتوسط، أو حتى في واحات الصحراء العربية. لكن الحديث عن التجربة الحضرية في الأدب العربي، ينطوي على تحديد زمني قاطع، يربط المسألة برمتها بالعصر الحديث، لأن الكثير من أشكال الأدب الحديث ذاته وليدة هذا العصر، وثمرة تطوراته الحضارية المعقدة. فلم تعرف الثقافة العربية القصة، بمفهومها الحديث، إلا في هذا القرن. وارتبط ظهورها بمرحلة جديدة في تاريخ المدينة العربية هي مرحلة التحديث، التي تبنت الكثير من مواضعات الحضارة الغربية وتقاليدها. بل إن

ظهور هـذه الأشكال القصصية في الغرب نفسـه، يرتبط بنشأة المدينة الحديثـة، التي انبثقت من مرحلـة الثورة الصنـاعية، وبظهـور جمهور جـديد من القـراء، ذوي الرؤى والتصـورات الطالعـة من منطق الحياة في هذه المدن الجديدة، والمصـاغة في أتون تجربتها الحضرية المتفردة.

ولأن مدينة القـاهرة هي أكبر الحواضر العربيـة، وأكثرها معايشـة لتبدلات التجـربة الحضريـة، وأسبقها خبرة ببعض تحولاتها، فقـد استطـاعت هذه المدينـة أن تعكس على مـرايـا انتـاجهـا الأدبي مختلف تحولات هـذه التجربـة، وأن تبلـور عبرها الكثير من قضـاياها وهمومهـا، ذلك لأن مدينة القـاهرة أسرع هذه العـواصم نمواً. فبعد أن كان تعـداد سكانها في مطلع هذا القرن أكثـر قليلاً من نصف مليون نسمة، بلـغ هذا التعداد ٨٧٥ ألف نسمـة عام ١٩٢٠م، ثم ارتفع إلى مليـون و ١٥٠ ألف نسمـة عـام ١٩٣٠، ثم إلى مليـون ونصف المليـون عـام ١٩٤٠م، وقفز إلى مليونين و ٣٥٠ ألف نسمة عام ١٩٥٠م، ثم إلى ثلاثة مـلايين و٧٤٧ ألف نسمة عام ١٩٦٠م، ثم وصل تضخم هـذه المدينـة إلى ٥,٧٠٠,٠٠٠ ألف نسمـة عـام ١٩٧٠م، ثم إلى ٨,٧٧٨,٠٠٠ ألف نسمة عام ١٩٨٠م، ثم بلغ هذا التعداد ما يقـرب من ١٥ مليون نسمة عام ١٩٩٠م، ومن المتوقع ان يتجاوز العشرين مليـون نسمة عام ٢٠٠٠م. وتشير الإحصاءات إلى أن مدينة القـاهرة الآن تتجاوز زيادتها كل عشر سنـوات خمسـة مـلايين نسمـة، وهـو الـرقم الـذي احتاجت قاهرة الماضي القريب إلى أكثـر من نصف قرن لبلوغه. وقـد ترك هـذا الانفجار الحضري آثـاره الواضحـة على شتى منـاحي الحياة في المدينـة، وأدت معدلاتـه العـالية إلى تفـاقم العديد مـن مشاكلها بشكل غير مسبوق. وإلى ظهـور مجموعة من الوقـائع المدهشة والغريبـة في ساحتها، والتي تعـد مسألة انتهاك حرمة الموتى، وسكنى الأحـواش والمقابر من تبدياتها التي كان من الممكن أن تصدم أسلافنا الأقربين. وقد أثر هذا كله على الحياة في المدينة، وعلى سلم المراتب الإجتماعية والقيـم بهـا، وعلى آدابهـا وفنونها المختلفة.

وإذا كـانت مدينـة القـاهرة، قـد مـرت بأكثـر من مرحلـة تـاريخيـة، منـذ بدايـة عمليـات التحـديث في منتصف القـرن الماضي، وحتى الآن، فإن الأعمال الأدبية المعبرة عنها، قد مرت هي الأخرى بتطـورات مماثلـة. فبعد أن كـانت المدينة نبراس التقدم، ومعـادلاً للرقي في بـدايات هـذا القرن، أصبحت مكـاناً كئيباً تنفجر فيه أزمـات المواصلات والإسكان والتعليم والأمن والغـذاء وغيرهـا. وقـد تـركت هـذه المسيرة في حيـاة المدينـة تفاصيلها في عالم الأدب. إذ نجد أن أدب تجربة مدينة القاهرة الحضرية قـد مر بثلاث مراحـل رئيسة. أولاها مرحلـة ازدهار المدينة والـرؤية الإيجابيـة للتجربة الحضريـة، التي ارتبطت فيها تلك التجـربة في بـداياتها البـاكرة بـالعقلانيـة والتقدم، وسيطرت فيهـا على منظور الرؤيـة الأدبية، حيث كـان الكتاب يرون كل تجارب الـواقع، الحضرية منها والريفيـة، من منظور الحيـاة في المدينـة. ومـن يقـرأ أعمال رواد الفن القصصي

على جـوانب النيل الخالـد تعـاقبت الحضـارات، وكتبت أحمل الآثار الأدبية.

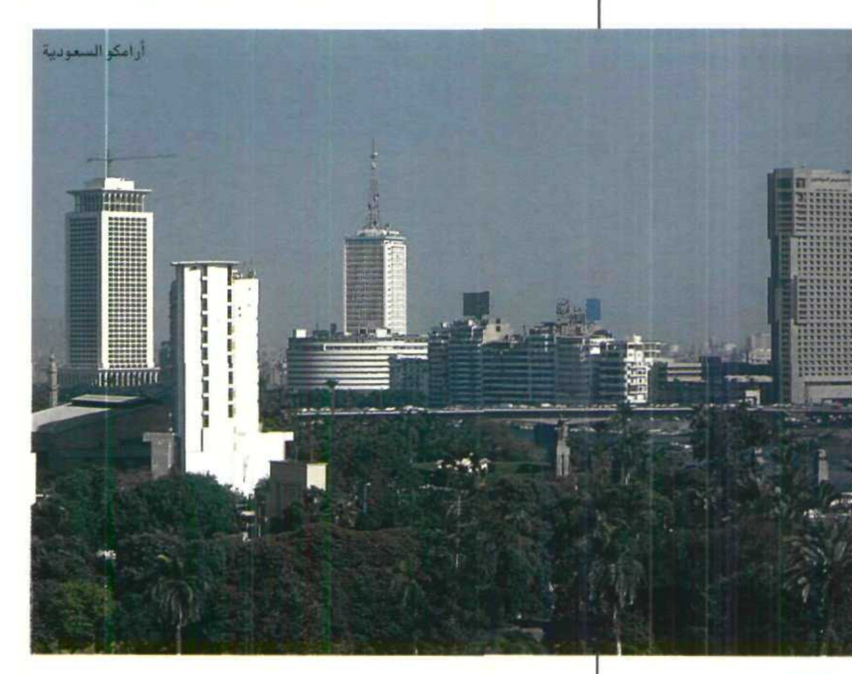


أرامكو السعودية

المصري من محمـود طـاهر لاشين والأخـوين محمـد ومحمـود تيمـور حتى محمـد حسين هيكـل ومحمـود خيرت وتـوفيق الحكيـم ويحيى حقي، يجد تجسيـداً لهذه الـرؤيـة الإيجابيـة، التي رأت في المدينـة سبيـل الخلاص من ربقـة التخلف الحضاري، ووسيلة الإنسان المصري للتحرر من الأفق الاجتماعي المغلق، الذي لايعد بأي تطـور حقيقي. إذ تقدم لنا هـذه الأعمال المدينة بـاعتبارهـا الحل الأمثل في الخلاص من مشاكل التخلف. وتصورها على أنها البوتقة التي تنصهر فيها

كل عناصر الأمة، والتي يتشكل في أتونها الوعي الوطني، وتصاغ فيها شتى خصائص الشخصية القومية.

ولاغرو فقد كانت المدينة في هذه الفترة كائناً فتياً لم يعرف بعد مشاكل التكديس والازدحام، ولم تعان أجهزتها ومرافقها من القدم والتهرؤ وتحمل ما لاطاقة لها به، ولم تفد عليها بعد متغيرات الحرب العالمية الثانية التي أطاحت برواسيها القيمية والاجتماعية والأخلاقية. كما ارتبطت هذه المرحلة بمجموعة من الملامح الحضارية والتاريخية، من أهمها تبلور الإحساس بالهوية القومية، وارتفاع معدلات التعليم بشكل قياسي ومطرد، ونمو النزعات العقلانية وسيطرتها على الواقع العربي عامة والمصري خاصة. كما اتسمت تلك المرحلة، التي امتدت من بدايات القرن حتى ثلاثيناته، بسيطرة الشرائح الاجتماعية العليا على الواقعين السياسي والثقافي.



أرامكو السعودية

شركت مدينة القاهرة بصماتها الواضحة على أدب الستينيات والسبعينيات.

وبعد أن تجاوزت مدينة القاهرة الحديثة مرحلة التكوين، وبدأت مجموعة تناقضات ما بعد اكتمال التشكل، وبداية الاستقرار، في الظهور في ساحتها، طرحت على الأدب صورة مغايرة لصورتها الأولى، نجدها في أعمال الأجيال التالية لجيل الرواد من الكتاب مثل نجيب محفوظ، وعبد الرحمن الشرقاوي، وفتحي غانم، ويوسف إدريس وغيرهم من كتاب الأربعينات والخمسينات. فلم تعد المدينة، في هذه الأعمال جميعاً، مرفأ يهرع إليه الهاربون من التخلف، أو الساعون إلى تحقيق الأحلام العريضة، وإنما تحولت إلى ساحة للصراع. ولكنه كان في هذا الوقت صراعاً ذا ملامح إيجابية، سواء أكانت غايته هي تحقيق الاستقلال الوطني، أو رفع مستوى الإنسان الاقتصادي،أو الاجتماعي، أو الثقافي. كما نجد أن هذه المرحلة جسدت الصراع بين المدينة والقرية، وهي المرحلة التي اتشح كثير من أعمالها ببعض الرؤى الرومانسية التي طرحت القرية في مقابل المدينة، ورأت فيها تجسيداً للبراءة الأولى التي تحاول الإرادة الإنسانية، في سعيها للتقدم وتحقيق الذات، أن تدمر بنيانها المؤطر بالجمال الطبيعي والبساطة. وأن تدمر مع هذا البنيان عالماً ساحراً من العلاقات الإنسانية الحميمة، والمشاعر الدافئة الحنونة.

وبالإضافة إلى هذا فقد رأى قطاع كبير من كتاب وشعراء هذه المرحلة كل مواضعات المدينة من منظور الريفي الوافد إليها مليئاً بالحلم والأمل والحياة، وسجلت تصدع هذه الأحلام كلها على صخرة المدينة، التي تبدت، عبر تجلياتها الشعرية والنثرية على السواء، كائناً «بلا قلب» كما نعتها أحمد عبد المعطي حجازي في أهاجيه اللاذعة، التي ارتبطت فيها المدينة بصور الجحيم الأرضي، وأصبحت تجسيداً للموت والشر والدمار. وقد اتسق مع هذه المرحلة تقديم البعدين الاجتماعي والطبقي لقضايا الاستقلال الوطني، وتجريد المسألة الوطنية من التهويمات الرومانسية، التي طمست جوانب الصراعات الاجتماعية في النضال من أجل تحقيق الاستقلال. كما رافقها كذلك تباطؤ معدلات الارتفاع المتنامية للتعليم، وتسارع معدلات الهجرة من الريف إلى المدينة. وقد ارتبط هذا كله بظهور كتاب عديدين من الطبقة الوسطى، وسيطرة شرائحها على المشهدين السياسي والثقافي.

وقد شهدت هذه المرحلة كذلك ما يمكن تسميته بأدب تحضير المدينة التقليدية القديمة الذي تمثله كتابات نجيب محفوظ من تحولات المدينة، أو بالأحرى أحيائها القديمة، ومدى عصف تلك التحولات بالرؤى والقيم الراسخة. وتدميرها للعلاقات الرعوية القديمة، وخاصة في روايات محفوظ التقليدية ذات الصبغة الطبيعية. وفي أعمال عدد كبير من كتاب الخمسينيات الذين حاولوا تسجيل التحولات التي انتابت مدينة القاهرة الطالعة من شرنقة الحرب العالمية الثانية. وقد كانت رواية نجيب محفوظ الشهيرة «زقاق المدق» علامة بارزة على طريق أدب تحول المدينة التقليدية إلى مدينة قاسية حديثة، تعصف بأبناء أحيائها التقليدية، بشراسة لاتقل عن تلك التي تعامل بها أبناء الريف. وبرغم هذه القسوة

الظاهرة، كان في عمق هذه المعالجات، إحساس قوي بأن المدينة لم تفقد كلية طبيعتها الايجابية، وأن في قسوتها البادية شيء من مرارة الترياق الضروري لتحقيق التقدم.

لكن هذه الطبيعة الإيجابية للصراع، ما لبثت أن اختفت بالتدريج لأن الخمسينيات والستينيات شهدت تحولاً حضارياً ملحوظاً في طبيعة المدينة، ليس فقط نتيجة لظهور سلسلة من الأزمات فيها، ولكن أيضاً نتيجة لتغير مناخها النفسي والسياسي على السواء. وقد بدأت هذه التحولات في صورة المدينة، تترك بصماتها الواضحة على الأدب الذي عبر عنها في الستينيات والسبعينيات، وخاصة في كتابات يوسف الشاروني، وادوار الخراط، وعبد الحكيم قاسم، وإبراهيم اصلان، ومحمد البساطي، وصنع الله إبراهيم، وجمال الغيطاني. في أعمال هؤلاء الكتاب جميعاً تحولت المدينة إلى وحش كاسر، إلى كابوس يلف في طلاسمه ومتاهاته المعقدة، كل الشخصيات فلا تستطيع معه أن تحقق أبسط أحلامها، وفقد انسان هذه المدينة سلامه الداخلي، وامتلأت نفسه بالتوترات والمخاوف والاسترابات الغامضة. فلم يعد الصراع في هذه المرحلة صرعاً بين المدينة والقرية، وإنما بين المدينة ونفسها، فقد اكتشف الكاتب أن تضخم المدينة الجهنمي قد أودى بكل سماتها الإيجابية. وأن الصراع بين المدينة والقرية قد تجاوز مرحلة التبسيطات الأولى، ودخل في حالة التشابك والكثافة والتعقيد. كما شهدت المدينة نفسها ما يسميه بعض علماء الاجتماع بمرحلة ترييف المدينة، وتسرب الكثير من ملامح التجربة الريفية إليها. وقد رافقت هذه المرحلة كارثة ١٩٦٧م، وركود حالة التعليم، وارتفاع معدلات الأمية، ومقدم ظاهرة التضخم وكل ما صاحب سياسة الانفتاح الاقتصادي من نتائج وخيمة. كما رافقها كذلك مجيء عدد كبير من الكتاب من الطبقات العاملة والفقيرة.



استطاعت الرواية المصرية أن تجسد التحولات الاجتماعية التي طرأت على سكان الأحياء الشعبية.

ولذلك اتسمت المعالجات الأدبية لكتاب هذه المرحلة بالمعرفة الحميمة بالواقع الذي يتناولونه، كما اختفت منها كل العناصر الرومانسية أو الطبيعية، والنهنهات العاطفية التي اتشحت بها بعض معالجات المرحلتين السابقتين. كما سقطت من ساحتها كل أشكال الإحكام البنائي الذي تنهض عليه الرواية التقليدية، وظهرت بدلاً منه صور التناثر والتشابك والتقاطع التي تشيع في كتابات الرواية الحديثة وهكذا لم تترك تحولات المدينة أثرها على طبيعة العالم القصصي وحده، ولكنها أثرت بشكل ملحوظ، وهذا هو الأهم، على بنية الأعمال الأدبية، وعلى شكلها الفني، ولغتها القصصية معاً. فبعد أن كانت البنية الأدبية في أعمال الرواد بنية متراخية، فيها شيء من التفكك الناجم من تعايش العلاقات القروية مع المواضعات الحضرية، وكان في لغتهم قدر من التطريب النابع من البهجة بالحياة، اتسمت أعمال الأجيال التالية لهم بإحكام الصنعة، وخلو اللغة من الحشو والتزيّد، وتساوق البناء وغير ذلك من السمات الملائمة لمرحلة اكتمال التجربة، واستقرار مواضعاتها، وايجابية قوانين الصراع فيها. أما المرحلة الأدبية الأخيرة، والتي رافقت الانفجارات السكانية، وتفاقم الأزمات المختلفة، فقد تبلورت في ساحتها مجموعة من الخصائص الفنية، والأسلوبية المعقدة، من تذويب للزمن، إلى تداخل في مستويات الواقع والحلم، والحقيقة والوهم، إلى ازدياد توتر اللغة، واللجوء إلى سرعة الايقاع وغير ذلك من الخصائص المجسدة لمرحلة التفجير والأزمة. ومن هذا كله نجد أن أثر التجربة الحضرية على الأعمال القصصية لايسفر عن نفسه في تغيرات مواضيعها ومجالات اهتمامها فحسب، وإنما يؤدي كذلك إلى تحوير بنيتها، والتأثير على لغتها، وقوالب تفكيرها ■

السيطرة البيولوجية على الآفات..

بقلم: د. بشار عبد الرزاق جعفر - سورية

يحاول المزارعون الاستعاضة عن المبيدات الكيميائية لمكافحة الآفات الزراعية بعضويات حية يمكنها أن تدمر الحشرات والأعشاب الضارة من دون إيذاء اشكال الحياة الفطرية الأخرى للمحافظة على التوازن الحياتي البيئي.

إذا ماقمنا بفحص أي نبات له أوراق في الصيف الحار أو المشمس، فسوف نجد عليه حشرات منوعة كالنحل والذباب والمن واليرقات التي تأكل الأوراق. وتشكل هذه الحشرات جزءاً من الاعتماد الطبيعي المتبادل بين الأشياء الحية. فاليرقة مثلا تقضم أوراق النبات، وقد تساعد بذلك نوعاً آخر - كالإنسان مثلا - في حربه من أجل البقاء.

ويعد تزايد عدد سكان العالم من أكبر المشاكل التي تواجه الجنس البشري، وخاصة فيما يتعلق بإنتاج غذاء كاف لهم. ومن الأمور التي تصعب حل هذه المشكلة أن الآفات تتلف مايصل إلى ثلث المحصول الذي تجود به الأرض في أنحاء العالم. ويمكن للحيوانات والحشرات خاصة أن تلحق ضرراً لا يكاد يصدق بمحاصيل الغذاء وبالأراضي الزراعية وبالصحة إجمالا.

لقد بقيت المواد الكيميائية هي الأسلحة المستخدمة ضد الآفات الزراعية لسنوات طويلة، ومنذ الرشات الأولى للقطران وكبريتات النحاس، وحتى الخلطات الحديثة المتطورة سجلت الحرب الكيميائية نجاحات كثيرة. ومع ذلك، فإن المواد الكيميائية غالية الثمن وقد تضر بالحياة الفطرية وبالبيئة وبالإنسان، وقد يضطر المزارع إلى استعمال المزيد منها، نظراً لتطور مقاومة الآفات بمرور الزمن. ولهذه الأسباب، وأسباب أخرى، فإن هناك محاولات حثيثة لاكتشاف طرق بديلة للسيطرة على الآفات التي هي بلاء الزراعة في كل أنحاء العالم. وإحدى الطرق الواعدة هي محاربة الآفات بيولوجيا Biological Pest Control وهي طريقة تقوم على استخدام عضويات حية للسيطرة على أنشطة عضوية اخرى. وفي المجتمع الطبيعي تكون الكائنات الحية معتمدة على بعضها وهذا ما يعرف باسم النظام البيئي Ecosystem حيث يسود توازن دقيق جدا. يتم بين النباتات التي توفر المصدر الغذائي الأولى (المنتجون Producers) وبين الحيوانات التي تأكل النباتات (المستهلكون الأوليون Primary Consumers) وبين الحيوانات التي تتغذى على الحيوانات التي تأكل النباتات (المستهلكون الثانويون Secondary Consumers).

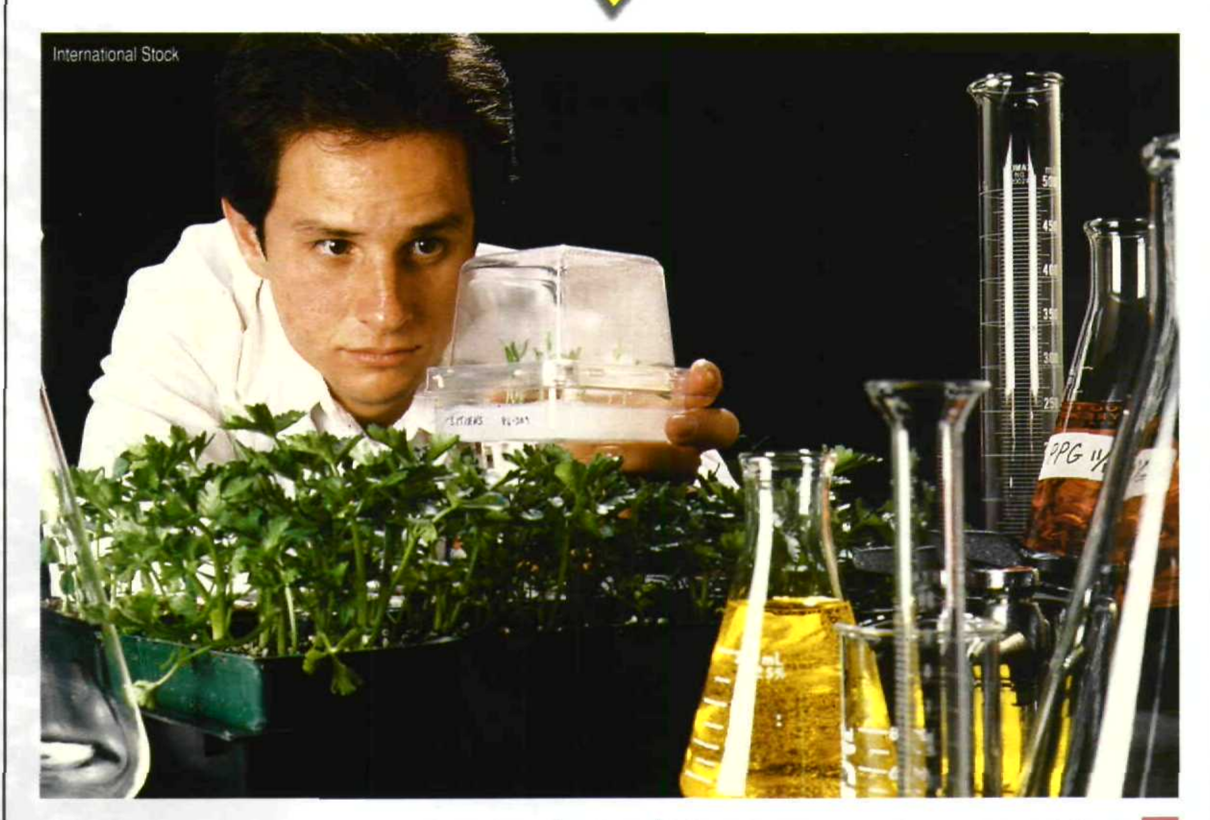
وتدمر المبيدات الكيميائية هذا التوازن البيئي الدقيق. فحين تستخدم ضد الحشرات يمكن للرذاذ أن يقتل الآفة، وهي مستهلك أوّلي، بالإضافة إلى إنه يقتل اعداءها الطبيعيين Natural Enemies ايضا، وهم المستهلكون الثانويون ونظرا لأن المبيدات الكيميائية تقتل بلا تمييز، فإنه يمكنها كذلك أن تقضي على حشرات تساعد، بأكلها للنبات، في إبقاء الأعشاب الضارة تحت السيطرة، وعلى نقيض ذلك

طبقت اندونيسيا نظام الإدارة المتكاملة للآفات لمكافحة «الجنادب البنية» بالطرق البيولوجية، لحماية محصول الأرز الوفير.

International Stock

Science Photo Library

صورة مكبرة لعنكبوت تمسك بساق إحدى النباتات التي تقتات عليها.



يكرس الباحثون الزراعيون جزءا من جهودهم المخبرية للتعرف إلى أفضل الطرق وأنجعها لمحاربة الآفات الزراعية بيولوجيا.

تسعى تقانة إبادة الآفات بيولوجيا إلى التعامل مع الآفة والمحافظة على التوازن.

الأعداء الطبيعيون : لنشجع حلفاءنا:

إذا كان بالإمكان تشجيع الأعداء الطبيعيين لنوع آفة ما، فإنه سيكون بإمكان هؤلاء الأعداء السيطرة على الآفة بفاعلية الرش نفسها وبتكاليف أقل كثيرا. ومن الأمثلة الجيدة على فاعلية هذه المعالجة مكافحة الجندب البنّي آكل النباتات Nilaparvata Lugensالذي يشكل آفة مدمرة لنبات الأرز في جنوب شرق آسيا.

وفي السبعينيات، سمح تطوير سلالات عالية الإنتاج من الأرز وزيادة استخدام الأسمدة ومبيدات الآفات، لمزارعي اندونيسيا بجني محصولي أرز في السنة بدلا من محصول واحد. وللأسف فقد أدى ذلك إلى زيادة هائلة في أعداد مجتمع الجنادب البنيّة. وكان المزارعون يرشون مبيدات تبلغ ثمانية أضعاف الكميات العادية أثناء موسم نمو الأرز في محاولة للتقليل من ضرر هذه الآفة، وصارت الحكومة تقدم مساعدات كبيرة لتمكين الفلاحين من دفع ثمن المبيدات، إلا أن العلماء أظهروا أن رش المبيدات والأسمدة كان السبب الأول في خلق المشكلة. فقد قضى الرش على كل مفترسات الجندب البني الطبيعية، وخصوصا العناكب، بينما كان تأثيرها قليلا على الآفة نفسها. وردا على ذلك فقد أدخلت أندونيسيا نظام التدبير المتكامل للآفة Integrated Pest Management (IPM) فخفّضت أولا المعونات المقدمة لرش المبيدات الكيميائية، ومنعت المزارعين من استخدام ٥٧ مبيداً حشريا في مزارع الأرز. ثم أقامت برنامجًا تدريبياً لتوعية المزارعين بكيفية المحافظة على المفترسات الطبيعية للجندب البني، كالعناكب وأصبح الرش الملاذ الأخير فقط.

وفي بريطانيا، يقوم فريق من جامعة ساوثامبتون باستطلاع احتمال استخدام السيطرة البيولوجية في حقول القمح الأوربية. والآفة التي تصيب هذه الحقول هي أرقة الحبوب التي تؤذي القمح بامتصاصها للنسغ، وعامل المكافحة هو يرقات الذبابة الحوّامة.. ويأمل الباحثون في اجتذاب إناث الذباب الحوام من خلال زرع صنوف من «الأعشاب الضارة» Weeds داخل حقول القمح أو حولها. وستكون الأعشاب عبارة عن نباتات مزهرة تسعى الإناث اليها لأنها تسعى إلى بروتين الطلع لإنتاج بيضها. وبعد أن تتغذى بما يكفي تخرج الإناث وتطير ضمن الحقل واضعة بيضها قرب (الأرقات). وعندما يفقس البيض تهاجم اليرقات الأرقات وتدمرها بحماسة كبيرة. ويمكن لليرقة الأكبر أن تأكل مابين ٣٠ و٤٠ أرقة يوميا. وفي معظم الأحيان يبقي الذباب الحوام الأرق تحت سيطرته، ولا يحتاج المزارعون إلى اللجوء إلى الرش الكيميائي إلا اذا فاقت أعداد الأرق كثيرا ما يمكن للذباب



يقوم فريق من جامعة ساوثامبتون في بريطانيا بإجراء تجارب على السيطرة البيولوجية في حقول القمح الأوروبية

الحوام أن يتعامل معه.

ولا شك في أن مايتم توفيره من تكاليف المبيدات يغطي، بل ويزيد كثيراً عن كلفة استعمال الأرض لإنبات الأعشاب المزهرة التي تجتذب الذباب الحوام بدلاً من استعمالها لزراعة القمح وإذا ما اثبتت هذه الطريقة أنها تعمل بفاعلية، فإنها ستشكل نموذجا متكاملا لمحاربة الآفة، وتضيف لوناً جديداً إلى النشاط الزراعي في الأرياف.

أعداء من الخارج:

هناك شكل شهير من أشكال المكافحة البيولوجية، هو استعمال نوع من بلد معين يسمى النوع الغريب Exotic Species، للسيطرة على آفة في بلد آخر. وقبل قرن من الزمان، أدى انتقال خنفساء (فيداليا) من استراليا إلى بساتين الحمضيات في كاليفورنيا إلى إنقاذ مزارعي الحمضيات في الساحل الغربي الأمريكي من الإفلاس. فقد كانت القشريات القطنية تتلف أشجار الفاكهة، لكن الخنفساء سرعان ما سيطرت على الحشرة القشرية (قمل النبات).

ولقد نجحت السيطرة البيولوجية على الأعشاب الضارة بإدخال حشرات آكلة للنبات Herbivorous في أجزاء كثيرة من العالم. وكانت استراليا مهددة في العشرينات بغزو الصبار أو التين الشوكي Opunita، وتمت السيطرة عليه بإدخال العثّ الأرجنتيني Cactorum Cactoblastis، الذي نظفت يرقاته أكثر من ٢٥ مليون هكتار من الصبار. وعندما تتم السيطرة بيولوجيا على الآفات العشبية تكون الكلفة مجدية اقتصاديا ومفيدة للبيئة ودائمة المفعول. وتصل الآفة والعضوية المسيطرة عليها إلى توازن بينهما، وإذا ماعادت الآفة إلى التزايد تكون السيطرة موجودة في الموقع.

وفي بريطانيا عدة أنواع من الأعشاب الضارة الغازية، تهدد في الوقت الراهن الغابات الطبيعية والأراضي الزراعية، وبإيقاع ينذر بالخطر. ومن بينها : الورديات، وعصي الراعي، والسرخس. وأول ماتجب مهاجمته بالسيطرة البيولوجية هو السرخس.. الذي ينتشر بسرعة في كل أنحاء العالم، وصار يغطي مساحة تبلغ ٦٧٠٠كيلو متر مربع تقريبا. وأحد أسباب انتشار السرخس، وخصوصا في المناطق المرتفعة من الأرض، أن الأغنام هي التي ترعى الآن على قمم الهضاب وليس البقر، ذلك أن الأبقار تدوس وتتلف مناطق واسعة من السرخس، أما الأغنام فلا تفعل ذلك. وهذا ما أخل بالتوازن لصالح السرخس الذي استفاد كليا من هذا الوضع.

وبغض النظر عن كون السرخس ساماً للمواشي، فإنه يبدو الآن أن بإمكان هذه النبتة أن تؤثر على صحتنا. وإذا ماتنفس الإنسان ابواغا تكاثرية (جمع بوغ، وهو جسم وحيد الخلية أو متعدد الخلايا، لاجنسي، مقاوم للشروط البيئية غير الملائمة، وينتج فردا جديدا عندما تصبح البيئة ملائمة) من نبات السرخس أو وقعت أوراقه في مياه الشرب فإن ذلك يؤدي إلى زيادة خطر الإصابة بأنواع معينة من السرطان. وفي بعض المناطق ينصح الفلاحون بارتداء الأقنعة في الخريف عندما تطرح الابواغ. ومن الواضح أن أعداءها الطبيعيين لا يستطيعون مجاراتها. وتمثل الرد بالبحث عن حشرة آكلة للسرخس في مكان آخر من العالم واستيرادها إلى بريطانيا. وركز العلماء بحثهم في مناطق بجنوب افريقيا ذات مناخ مشابه لمناخ بريطانيا، ودرسوا أنوعاً كثيرة وحصروا نطاق الاحتمالات في أربعة أنواع عادوا بها إلى « المعهد الدولي للسيطرة البيولوجية» في يوركشاير.

وبعد اختبارات مكثفة أجراها المعهد وقع الاختيار على يسروع (الكونسر فولا) الذي يتحول إلى عث Conservula Cinisigna، لكونه المرشح الأوفر حظاً في النجاح في السيطرة على انتشار السرخس. وقبل أن تسمح إدارة البيئة بإطلاق هذا

اليسروع في البراري ، وإن ضمن أقفاص ، سيكون على المعهد أن يثبت أن اليسروع انتقائي النبات، بمعنى أنه لا يأكل إلا السرخس. والواقع أن هذه اليساريع تواجه الموت ما لم يقدم السرخس ـ وحده ـ اليها. ولقد اكتملت التجارب اليوم وينتظر العلماء الموافقة لإطلاق هذا اليسروع لنشره على نطاق واسع، والسعي إلى الحصول على تمويل كاف للتأكد من أن الحشرة لا تفعل أكثر مما هو مطلوب منها.

وسيقام قريبا في بريطانيا أول نظام للسيطرة على الأعشاب الضارة ، بآلاف من يساريع (الكونسرفولا) التي تسمن وتنمو بأكلها للسرخس الذي يهدد الريف البريطاني. ومن المهم معرفة أن إدخال نوع كهذه اليساريع لن يقضي على السرخس كليا، إذ أن اليساريع ـ ببساطة ـ توقف الإيقاع السريع لانتشار السرخس ، وتحل بذلك محل الأبقار التي كانت تدوسه وتعمل كعامل سيطرة وتوازن.

وكانت العضويات الغريبة قد استخدمت في السيطرة البيولوجية منذ أكثر من قرن مضى. وهي قد لا تقوم دوماً بالمهمة المطلوبة منها، ولكنها لم تحدث سوى أضرار قليلة جدا. وعلى العموم ، فعندما تعطي المعالجة البيولوجية نتائج خاطئة فعلا، تكون النتائج واسعة في نطاق تأثيراتها.

ولقد أدخل نوع من الحلزون البري الأفريقي العملاق إلى هاييتي في عام ١٩٦٧م كغذاء، وهرب بعضه ، وسرعان ماتكاثر ليصبح آفة. ومن دون إجراء أية أبحاث ملائمة تم إدخال نوع من السيطرة البيولوجية تمثل في إطلاق حلزون آكل للحوم هو Euglandina للقضاء على الحلزونات البرية الأفريقية . ولكن هذا الحلزون لم يكن ـ للأسف ـ فعالاً، بل إنه التهم المئات من أنواع الحلزون الأخرى التي لاتوجد إلا في هاييتي. ولا أحد يعرف حتى اليوم التأثيرات الطويلة الأمد لانقراض كل هذه الأنواع، نظراً لأن للحلزون أهميته البالغة في المحافظة على التوازن الطبيعي. ولكن العلماء في جامعة نوتنغهام يحاولون إنقاذ أنواع قليلة من حلزون جزيرة هاييتي بانتظار اليوم الذي سيمكن فيه إعادتها إلى بيئتها الطبيعية التي كانت موطنا لها ذات يوم.

أما اليوم فلا يتم إدخال نوع جديد إلى البلاد إلا بعد إجراء أبحاث مكثفة للتأكد من أنه سيقوم بالمهمة الموكلة إليه. وسيكون من قبيل الكارثة إدخال خنفساء للسيطرة على نبتة مؤذية ليظهرفيما بعد أنها تفضل نظاما غذائيا أساسه الذرة أو البطاطا مثلا فتتلف هكتارات من المحاصيل الغذائية. وهناك خطوات عديدة يجب اتخاذها لتجنب الإخلال بتوازن النظام البيئي. أولاها: التأكد من أن الآفة تشكل هدفاً مناسباً. فمثلا هل تسبب هذه الآفة ضررا كافياً يستحق القضاء عليها؟ وهل هي نوع له صفاته الفريدة التي تجعله هدفاً محدداً؟ ويجب أن يعرف العلماء كل ماهو ممكن عن الآفة بحيث يحصرون حدود البحث عن المفترس الملائم لها. ثانيها: أنه يتوجب على الباحثين صرف وقت كاف في الحقل للتعرف على سلسلة من عضويات السيطرة المحتملة. وبقدر الإمكان فإن عوامل السيطرة البيولوجية يجب أن تكون انتقائية النوع. ويجب أن يكون عامل السيطرة مختلفا عن عضويات توجد طبيعيا في البلد المصاب بالآفة لتجنب احتمال التزاوج الذي يمكن أن ينتج عنه تهجينات ذات صفات غير



تلعب الفراشات دوراً مهما في تلقيح النباتات، وزيادة الغلات الزراعية.

معروفة. بعد ذلك يأتي دور تجارب المختبر، حيث تجري اختبارات مكثفة على عوامل السيطرة القليلة المختارة المتبقية. وحدود وانتقائية عملها، وتأثيرها في البيئة ككل. بعد هذا كله ، فإن العلماء يتعرفون على عضوية حية ـ نبات أو حيوان أو مولد مرض ـ تسيطر بشكل آمن غير مؤذ على الآفة . وعندها فقط يصبح بإمكانهم إطلاق العضوية الغريبة المختارة.

ويقوم خبراء السيطرة البيولوجية اليوم بوضع سلسلة من التوجيهات العالمية بحيث يمكن للأمم المتحدة أن تعد نظاما استرشاديا عالمياً، وعندما يصبح هذا النظام جاهزاً سيكون على أي نظام سيطرة بيولوجية أن يمر بهذه الاختبارات المتشددة التي تمنع حدوث ما حدث في هاييتي ■

المراجع:

١ - أمراض وحشرات الخضار، الدكتور بشار عبد الرزاق جعفر. دار المعرفة ـ دمشق ١٩٩٤م
٢ - محاضرات في التصنيف النباتي - الدكتور بشار عبد الرزاق جعفر. جامعة حلب ـ كلية الزراعة بدير الزور.
٣ - المكافحة، الدكتور فوزي سمارة ـ جامعة دمشق ـ ١٩٨٣م.
٤ - مجلة آفاق علمية ـ العدد ٣٤.

قصة قصيرة :

عصر الأحد العصيب

بقلم الكاتب الأمريكي : روبرت بنشلي
ترجمة : د. عبد الله طلال الشناق ـ الأردن

الكاتب روبرت بنشلي (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م) قام بنشاطات أدبية متعددة خلال حياته. فقد كان كاتباً مسرحياً وممثلاً وناقداً في صحيفة. كما أنه عدّ واحداً من مشاهير الكتابة الفكاهية في أمريكا. ومن قصصه الفكاهية : (من سيء إلى أسوأ)، (عشر سنوات من عمري في مأزق)، (وكيف كبروا؟!) وفيما يلي قصته الموسومة : (عصر الأحد العصيب):

اردد دائماً إنني لست من المتشائمين، ولا ممن يكتئب بسهولة بغض النظر عن الأحوال والظروف. وكأن الشمس ما برحت مشرقة، كأن العصافير لن تتوقف يوماً عن التغريد. هناك دوماً عاصفة ثلجية قريبة وزكام يصيب بسهولة أولئك الذين يبحثون عنه .. ولكنك لن تستطيع أن تقمع تسلط زوجة الأب العجوز لفترة طويلة.

لكنني بصراحة متناهية لم أجد طريقاً للخلاص من مأزق عصر يوم الأحد. فمنذ عدة قرون عد «أولد نيل» عصر يوم الأحد فترة عصيبة من فترات الأسبوع، غير أن صباح يوم الأحد قد يكون مبهجاً بدرجة كبيرة بفناجين قهوته وصحفه المسلية، ولكن تهديد الساعة الثالثة مساء هو السيف المصلت على ذلك اليوم. فعندما تصبح الشمس باتجاه الشبابيك الخلفية تتوقف الحياة في مجاريها. لايهم أن تكون في الصين، أو في عمق البحار المتلاطمة الأمواج، أو في عش عصفور حوالي الساعة الثالثة عصراً يهبط عليك حجاب قاتم كثيف ينتشر في كل مكان فيبعث في النفس الكآبة، ويبدأ الناس في محاولة التفكير في شيء يمكن عمله.. يمكن أن تفكر بمحاولة عمل شيء ما وأنت تنتظر تنفيذ حكم الإعدام في سجن «سنغ سنغ». على أية حال، مهما فكرت فأنت ما زلت في فترة عصر يوم الأحد.

تبدأ سيارات الجيب العسكرية الزرقاء اللون بالاندفاع في عمق الصحراء وقت غداء يوم الأحد. وتبدأ آخر ثلاث أو أربع ملاعق من الآيس كريم بفقدان نكهتها فيما تبدأ أنت بتجميع فتات قطعة البسكويت بدلاً من أكلها. وفي الوقت الذي تكون فيه على وشك الانتهاء من شرب فنجان القهوة يأتيك تحذير مبكر نابع من هاجس داخلي يؤكد قبل مرور فترة طويلة - أربعين أو خمس وأربعين دقيقة - ربما تنقل إليك أخباراً سيئة ! وهذا الشعور يفسح المجال أمام الاستسلام. وفي هذه اللحظة تبدو حلوى ما بعد الطعام غير سائغة لك، ولاتثير شهيتك.

وبمغادرتك حجرة الطعام وتجوالك في حجرة الجلوس بلاهدف، يبدأ كل شخص معك بالتثاؤب. أكداس صحف الأحد ملقاة هنا وهناك على أرض الغرفة التي كانت مرتبة مريحة قبل فترة الغداء. تصبح هذه الصحف مثيرة نظراً لطبيعة الإنسان المتقلبة. فها هو العم «بن» يهيىء الأريكة لينام فوقها نوماً خفيفاً غير مريح، ها قد بدأ الأطفال المشاجرة فيما بينهم لينتهي شجارهم بتورط الكبار في شجار حاد.

ـ يسأل أحدهم « لماذا لاتلعب خارج المنزل؟».

ـ فيجيب آخر : لماذا ألعب ؟ »

ويقود هذا السؤال إلى سؤال آخر : «ماذا نفعل؟».

هناك محاولة لبدء حوار يبادر بها شخص ثرثار : «هيه ـ هو» ويكون وقع ذلك فاتراً بارداً من غير نكهة. وتسود فترة صمت طويلة بينما تنظر أنت إلى كومة الجرائد المتناثرة أمامك علك تجد خبراً نسيت قراءته في فترة الصباح، فتعاود قراءة الأخبار حتى أخبار السفن وإعلانات الكتب.

ـ أنت تقول : « هذه حياة سوزان ب. انتوني تبدو

كأنها تصلح كتاباً جيداً».

ـ ويسألك ادوارد بغضب: «ما الذي يجعلك تفكر في ذلك؟» جاء ادوارد ليتناول وجبة الغداء لأنه شعر بالوحدة في القرية، وهو الآن يتمنى لو لم يحضر. يفكر في اختلاق أعذار ليستقل أول قطار إلى قريته.

ما من سبب واحد مقنع يدفعك إلى التفكير في أن حياة سوزان ب. انتوني قد تكون ممتعة. لم تقدم أي سبب، ولم تفكر لماذا يجب أن تكون ممتعة.

ويتقدم أحدهم باقتراح للجميع ليقوموا بالتنزه سيراً على الأقدام، فيقود ذلك إلى تذمر باقي أعضاء المجموعة على شكل همهمات سخرية واستنكار. ويقترح شخص آخر لعبة البريدج!! فيثير هذا الاقتراح اهتمام اثنين فقط، بينما تحتاج اللعبة إلى أربعة أشخاص متحمسين على الأقل. إن موعد وصول الخبر السيء يقترب بسرعة، وحتماً سيكون الخبر عن الموت. تتسلل أشعة الشمس عبر النافذة، فنلحظ أن الكرسي الأخضر بحاجة إلى إعادة تنجيد، والسجادة لاتبدو بحالة أفضل. ويقفز تساؤل إلى الذهن: «ما فائدة الحصول على أثاث جيد ما دام الإنسان منحدراً إلى الموت قبل مضي فترة طويلة».

تبدو أشعة شمس عصر يوم الأحد غريبة جداً، ففي الأيام الأخرى تبدو مشرقة مبهجة بينما تدخل الغرفة عصر يوم الأحد بطبيعة تلصصية تكشف من خلالها عيوب الأثاث. الحال واحدة حيثما كنت، سواء أكنت تتسكع في مطعم «البزي بي» في هونغ كونغ، أو تقوم بتلميع النحاس على ظهر يخت في بحر الشمال، أو تجتاز سيراً على الأقدام ملكية أحد أصحاب الشركات العقارية العملاقة، أو تعلِّم الهنود الحمر كيف يقرأون في ولاية اريزونا، إن شمس عصر يوم الأحد ستجعلك غير راض عن أي شيء تقع عليه تلك الشمس .. يجب أن تتوقف ..!

ولكن يبدو أن مشكلة عصر يوم الأحد ستحل مع وصول القطار، إذ بإمكانك الصعود من الباب الخلفي للقطار البخاري العتيق الذي يتحرك باتجاه الريف تاركاً وراءه دخاناً كثيفاً متقطعاً. وستجد هناك أناساً يعزفون مقطوعة «النرجس» على آلة البيانو ولكن من مكان بعيد عن سكناك، حتى في القرى يمكنك تمييز عصر يوم الأحد من خلال سلوك الطيور وتغريدها، ويمكنك الذهاب إلى حقل واسع تؤدي فيه حركات بهلوانية، وبإمكانك ضرب رأسك في شجرة بلوط. يمكنك فعل ذلك على الأقل في الأيام الأولى من وجودك هناك.

ومن الطبيعي أن أول ما يفكر فيه المرء فور ركوبه القطار البخاري المتجه إلى الريف هو الهروب من شمس يوم الأحد، حيث تزدان الطريق الريفية الطويلة بمعارض القرى العتيقة لاسيما معارض المواشي والمعارض الزراعية. والفرق الوحيد في هذه الأيام بين عصر يوم الأحد في المدن وعصر يوم الأحد في الريف أنك لاتعرف الناس الذين حولك في الريف.

وإضافة إلى الشعور بالكره الناتج عن تجمهر العديد من الغرباء الفضوليين حولك في الطريق الريفي، وضيقك بكلامهم في أثناء ساعات الانتظار الطويلة داخل عربة القطار وخارجها، فإن ثمة خطراً حقيقياً يهددك. ألا وهو خطر الإصابة بالأوبئة. فلنفترض أن شخصاً ما أخذ معه طفلة للتنزه في الريف عصر يوم الأحد فأصيبت تلك الطفلة بالتهاب في الحنجرة بسبب تجمهر الآلاف من المتنزهين، فإنها ستقوم بتوزيع جراثيم ذلك المرض على كل من تتصل بهم، وقد ينتقل إلى جميع أنحاء البلاد قبل وصول المتنزهين إلى منازلهم لتناول الدواء. لقد عرفت أنفاق المشاة والمباني المزدحمة بالسكان منذ القدم بأنها تربة خصبة لانتشار أمراض الأنف والأذن والحنجرة، ولذلك لايجوز إبقاء الطرق الريفية من غير رعاية صحية رسمية في عصر أيام الآحاد؟!!

حقاً، لاأدعي أنني أملك حلا سحرياً لفترة عصر الأحد، كما أنني لاأثق بأي حل، وقد يكون الحل الوحيد إحراقك المنزل الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر فينشغل المرء حتى فترة المساء، أو ذهابك إلى القبو بعد الغداء مباشرة لتفكيك جهاز معقد التركيب ثم محاولة تجميعه، لتشعر بأنك في منأى عن أشعة شمس عصر يوم الأحد، أو بقضائك تلك الفترة بالغطس تحت الماء محاولاً التقاط شقائق النعمان البحرية أو بقايا حطام بعض السفن.

أما الأسلوب الناجح الذي اتبعته أنا فلم يكن مكلفاً .. فلقد اعتدت شراء كمية قليلة من مادة البريتال (ذرور أبيض متبلر يتخذ منوماً) من أقرب صيدلية، وكنت أضعها ببراعة في فنجان قهوتي مساء السبت ثم انطلق بعدها بسرعة نحو سريري. وعلى الرغم من أنني لم أكن أشعر بنضارة الشباب وحيويته عندما أصحو صباح يوم الإثنين، فإنني كنت ـ على الأقل أفلح في الهرب من عصر يوم الأحد ... !! ■



صورة لكرونية ملونة لعدد من الخلايا المناعية اللمفاوية وقد أصيبت بفيروس الايدز

الإيدز في مواجهة علم المناعة

*ترجمة الأستاذ: عبدالحفيظ جباري - الجزائر

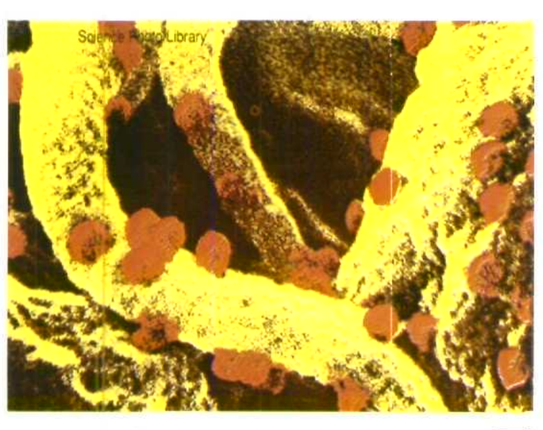
ساهم علم المناعة Immunology كثيرا في تحقيق انتصارات عظيمة في عالم الطب. وأدت اللقاحات Vaccins دوراً كبيراً في القضاء نهائيا على الكثير من الأوبئة التي كانت تخيف وتفزع أسلافنا. لكن ظهور فيروس مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز)، شكل تحدياً جديداً أمام علم المناعة. وفي أيامنا هذه يستحوذ هذا المرض القاتل على تفكير الباحثين في مختلف بقاع العالم بشكل يفوق كل اهتمام بمرض آخر.

كان العالم إميل فون بهرينق Emil Von Behring ١٨٥٤م - ١٩١٧م يقف عاجزاً كغيره من الأطباء حيال ما تسببه وما سببته الأمراض المعدية من آثار وخيمة كانت مرادفة للنكبات والكوارث.

ولم يتم آنذاك إيجاد أي دواء أو صبغة أو توصية ملائمة تمكن من وقف انتشار الأوبئة، ولم يكن بالمقدور على الأقل الاحتماء من هذا «العقاب الرباني». وتسببت الأمراض والأوبئة في وفاة الآلاف من المرضى وكان من بين هذه الأمراض: الطاعون، الهيضة، الجدري، الحمى التيفية، الحمى الصفراء، السل، الزهري، الكلب، الكزاز، والحمى النفاسية.

في نهاية القرن الماضي وفي ألمانيا على وجه التحديد كان يذهب كل عام أكثر من ٤٠٠٠٠ طفل ضحية داء الخناق الغشائي ولم يكن الوضع يختلف كثيراً في البلدان الأوربية الأخرى.

وفي سنة ١٨٨٨م، برهن الباحث الفرنسي روكس Roux على وجود مادة سامة تنبعث من عُصَيّة داء الخناق الغشائي. وأراد بهرينق أن يقابل هذه المادة السامة بمضاد يقضي على داء الخناق ليتولى الدم بعد ذلك إنتاج الأجسام المضادة، وقد قام بهرينق بابتكار أول لقاح لحماية الإنسان، استخلصه من دم أحصنة مصابة بالعدوى ثم تولى بعد ذلك تطعيمها ضد المرض.



صورة الكترونية ملونة، يتوضح فيها اللون الأحمر كتلة تعلق فيروسات الإيدز في الإنسان وتدميرها لخلايا الدم البيضاء

وقع هذا الحدث سنة ١٩٠١م وقد اعتبر من نتائج ذروة مسيرته العلمية التي توجت بحصوله على جائزة نوبل في الطب، كما حصل على أوسمة علمية ولقب شرف وراثي.

وتمثلت مأثرته هذه في اكتشاف أجسام مضادة، وهي سلاح ينتجه الجسم من أجل مقاومة الفيروس والجراثيم المولدة للمرض Pathogenes وبذلك أصبح بهرينق «أبا لعلم المناعة».

بفضل بهرينق وتلاميذه أصبح علم المناعة - الذي كان مؤسسا على أعمال لويس باستور Louis Pasteur، وبول ارليش Paul Ehrlich، وروبرت كوخ Robert Koch. وإلياس منتشنيكوف Elias Mentchnikov - ميداناً شهيراً.

وكما ورد على لسان البروفيسور هلموت ستيكل: «لقد

عرف علم الطب أعظم انتصاراته خلال مكافحته للأمراض المعدية. إذ قضى نهائياً على مرض الجدري ولم تعد أمراض كالسل، والهيضة، والحمى التيفية، وشلل الأطفال تظهر إلا بصفة متفرقة، إذا ما أغفلنا وضع بعض البلدان النامية.

كما أوقف أيضا انتشار أمراض الأطفال بشكل واسع مثل الحصبة Rougeole، والنكاف Oreillons والحميراء Rubeole. وساهم التلقيح الإرادي بشكل واسع في تحقيق هذا الانتصار.

إن الأمراض المعدية المعروفة التي تعرّض حياة البشر لأخطار كبيرة نسبيا، مردها قبل كل شيء إلى الأشكال المتغيرّة دوما لفيروس الزكام ولفيروسات (التهاب الكبد) التي تعود بقوة منذ بعض الوقت.

وتبدو هذه المشاكل ثانوية، وحتى تافهة إذا قورنت بالتهديد العالمي النطاق الذي يمثله فيروس الإيدز الذي لايوجد بعد علاج شامل مضاد له أو مادة تجعل إجراء عملية التمنيع النشيط في مواجهته ممكنة. ولم يستحوذ أي مرض آخر على جهود الباحثين كما لم يبعث أي مرض آخر مثل هذا القدر من الخوف والذعر في النفوس كمرض نقص المناعة المكتسب (Acquired Immune Deficiency Syndrome المعروف اختصارا بـ(AIDS) الذي يوصف بأنه حالة مرضية تبرز من خلال ضعف خارجي المنشأ لنظام مناعة الجسم. وكان أول من اكتشف هذا الفيروس الاخصائي في علم الفيروسات لوك مونتانييه Luc Montagniet من معهد باستور بباريس إلى جانب العالم الامريكي روبرت فالو Robert Gallo الذي برهن بأن الفيروس هو المتسبب في حدوث المرض. وتعود لهذين الاخصائيين في علم الفيروسات الريادة في الاكتشاف. إلا أن هذا الانسجام سبقه جدل حثيث لتحديد من تعود إليه أبوة اكتشاف فيروس الإيدز، لم تتم تسويته إلا بعد الاحتكام إلى القضاء.

يهاجم فيروس الإيدز الكريات البيض خصوصا (الكريات الليمفاوية) وحينما تتلف ينهار نظام الدفاع الطبيعي للجسم، فيصبح مشلولاً تماما. حينئذ يصبح تكاثر جراثيم الأمراض ممكناً بكل سهولة بما يشبه الحلقة المفرغة.

وحين يصاب شخص ما بعدوى الفيروسات، لايعني ذلك انه سوف يعاني من آلام داء الايدز إذ إن الإصابة بالفيروس ليست مماثلة للمرض ذاته. لكن الأشخاص المصابين رغم أنهم ليسوا مرضى فإنهم قد ينقلون العدوى للآخرين من خلال الاتصالات الجنسية وعن طريق الدم.

أما لدى النساء الحوامل المصابات بالمرض، فينتقل الفيروس مباشرة إلى الرضيع عند ولادته أو في أثناء فترة الإرضاع.

ويبقى كذلك خطر العدوى بالفيروس قائما عند استخدام الحقن لمرات عديدة، كما هو الحال في أوساط متعاطي المخدرات.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف تستمر مسيرة البحث للقضاء على هذا المرض العضال (الإيدز)؟!

في جمهورية ألمانيا على سبيل المثال جرى عقد نقاش جماهيري وعلمي حول الايدز ضم الباحثين في المعاهد والمختبرات الصيدلانية، الساعين جميعا لتوحيد جهودهم لمطاردة الفيروس.

وتوجز مجلة «ميديتسين هويته Medizin heute» (طب اليوم) الألمانية وضعية البحث حاليا حول المرض، بأن «كل الاستدلالات الطبية تؤدي إلى طرح نفس التساؤل: هل من الممكن إعاقة الفيروس لمنعه من بلوغ الخلية المتلقية للقاح، وإذا كان موجوداً قبلا، هل من الممكن وقف انتشار وتوسيع



الدكتور روبرت فالو، أحد مكتشفي الإيدز ورئيس فريق البحث من المعهد الوطني الأمريكي للصحة، في أثناء انعقاد مؤتمر عن الإيدز في باريس عام ١٩٨٦م.



إن خطر الإصابة بفيروس الإيدز قائم عند استخدام الحقن لمرات عديدة كما هو الحال في أوساط متعاطي المخدرات

تكاثره في الكريات الليمفاوية؟.

بعبـــارة أخـرى، فــــإن الحل الـذي بـوسعـه إنقـاذ الإنسانيـة المهددة لايمكن أن يجيء إلا من البحـوث المخبرية المتعـددة. وحتى هذه اللحظـة، لانعـرف ما إذا كـان من الممكن يوما ما ابتكار لقاح فعال ضد هذا المرض.

وهنـاك مؤشـرات واعدة مستنبطة من بين معارف تراكمت على مر الـوقت منـــذ الثمانينيـــات بدأت تشكـل فسيفساء العلاج القـادم، ويحدو البـاحثـين أمل حذر يتمثـل في التوصل خلال الخمس أو العشر سنـوات القادمة إلى حل حاسم.

مريض مصاب بالايدز يـرقـــد في أحـــد المستشفيات.

Science Photo Library

من جهـــة أخـــرى، يكتسب عامل الوقت قيمة وأهمية كبيرتين نظراً لسرعة انتشار المرض الذي يتم بصــــورة تبعث الـــرعب في النفـوس، وربح الوقت هو كـذلك السبب الـــذي حث المختبرات الصيـدلانية (هـووشست بايـر) لإجـراء أبحاث مشتركـة حولـه. ويـــرغب ايضـــا معهـــد «لاول ارليش» ربـح الوقـــت بالمشاركة في القضاء على هذا الداء.

ويــــرعى البـــاحثـــون الفـرنكفـورتيـون تبـادلاً مثمـرا لـــلآراء مع معهـد الابحـــاث الأمـريكي «بيتســدا» في ولايـة مـاريـلانـد بـالـولايـات المتحـدة الأمـريكية بمعيـة مجموعـة من البـاحثين النمســاويين. ويسمح تبـادل الآراء الذي يتم بين المختبرات الثـلاثة لكل المشـاركين بـالتصرف في مـا هـو متـوافـر من معـارف واسعـة تخـص المشكلـة بمجملها.

وتمثل مـراكـز رتبة الـرئيسـات Primates (رتبـة من الثدييات منها البشر والقرود) في العـالم اجمع ركنا آخر يدعم البحث حول الايدز. لأن القرود (الشيمبانزي) هي الحيوانات الوحيـدة، مثل الإنسان المعـرضة لـلإصابـة بعدوى الفيروس. وأظهرت محاولـة للتطعيم ضد المرض جربت على تسعـة منها أن هـذه الحيـوانـات تنتج أجسـامـا مضـادة غير أن الفيروس استمر رغم ذلك في التكاثر.

والنتيجة المخيبة لـلآمال التي تم التوصل إليهـا بعد هذه التجربة و توبعت باهتمام كبير، لا توفر إجابة للسؤال حول ما إذا كان ممكناً تطبيق التجارب التـي أجريت على الشيمبانزي على الإنسان؟

وقبل كل شيء فـإن بإمكـــان التحليل الكـــامل للغـــلاف الهيوليـنـاتي المحيط بالفيروس أن يوصل البـاحثين إلى مصدر الوباء وتوفير التفسير الأكثر إقناعا.

على الأرجح، توجد في هذا الغلاف الهيوليناتي منطقة عمل اللقاح، ويأمل البـاحثون أن تلج اللقـاحات إلى داخل الفيروس كي توقف توالده.

يبدو ذلك أسهل مما هو عليه في واقع الأمر. بيد أن فيروس الإيدز بارع في فن الاستحالة، مثل حرباء تتملص باستمرار من كل تدخل يستهدفها، بتبديله لهيـولينات غلافه بسبب تكوينه الـوراثـي. ويشترك فيروس الإيـدز في هـذه الخاصيـــة مع كل الفيروسات الإرتجاعية.

غير أن التقـانـة الـوراثيـــة تتحكم الآن في الطـريقـة وفي التقانات اللازمة لعزل فيروس الإيدز، عن هيولينات الغلاف.

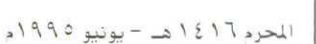
إن زرعها عـن طريق الجراحـة الوراثيـة في جرثـومة غير ضـارة، مثل فيروس تلقيح جـدري البقـر، يجعلنـا نحصل على هيولينـات تكفي لتكوين لقـاح ينشط في الوقت المحـدد، لينتج أجسـامـا مضـادة داخـل الجسم، وحينما تتعـرف الأجسـام المضـادة على فيروس الإيــدز، تتعلـــق هـذه الأخيرة بغـلافـه وتسعى لإتلافه.

وتعــــد استراتيجيـــة العلماء هــــذه واحـــدة من بين الاستراتيجيات الكثيرة الأخرى، ولكن وضعها في حيز التنفيذ، يصطدم باستمرار بعقبات جديدة.

والآن بعـــد سبعين سنـــة على وفـــاة «بهرينق» رائد علم المناعـــــة يواجـه تـلامـذتـه اكبر التحديات التي تعيشهـا المجتمعات الحديثـة، التي وجـدت نفسها تدخـل سباقـا ضد الموت، ضـد مـرض شرس لاتفيـد معـه الأسـاليب المنـاعيـة التقليدية في العلاج ■

---

* بإذن خاص من مجلة «دويتشلند» الالمانية عدد مارس - ابريل ١٩٨٨م



قصائد هاربة

شعر: معشوق حمزة ـ قطر

كثيرةٌ..
قصائدي التي
تفرّ من أصابعي،
لكي تعيش
في ذاكرة الأشجارْ!.
في خاطري..
ألمحها،
تخفي حروفها،
يلفُها الدخانْ.
في كلّ ليلة،
يحلو لها النزيفُ
قرب شرفتي.
تأبى الدخولَ
في دفاتري
مكشوفة للعينِ
أو مصلوبة على الشفاهْ!.
تمدُ في براءة
خطوط كفّيها
إلى الجبالْ.
تنمو الفصولُ
كالظلالِ
فوق وجهها،

وترتدي السؤالْ!
احبها أحبُ سورها
يضجُ بالمحالْ،
وليلها الملفوفَ
في دمي،
وفجرها المكتوفَ
في فمي.
يفصلها الرذاذُ
عن ذاكرتي،
يحملها الضبابُ
عن موانىءٍ
في الحلم
تفضي بي إلى أطرافها،
تدلّني إلى طريقِ بابها،
تمنحني المفتاحْ.
وفي الصباحْ
آثارُ أقدامٍ
على الجدارْ،
تقودني
للبحث عنها
في مسارب النهارْ!.

دور الأفراد في اندثار المجتمع

بقلم : الدكتور خالص جلبي - القصيم

عرف الإنسان إن الموت حقيقة ثابتة منذ بداية الخلق، فنحن نعي أننا جئنا إلى هذه الدنيا بغير رغبة منّا أو استشارة، كما أننا لابد أن نودع الحياة في يوم من الأيام، ولكننا كأفراد لانستطيع أن نهضم أو نستوعب اندثار مجتمع ما، فهل يعني هذا أن المجتمع خالد لايموت؟ أو أنه كائن من نوع غير حي لكنه يموت ككل الكائنات التي تولد فتموت ؟ وإذا كانت سنة الولادة والموت تحكم المجتمع وتشكل مصيره، فقد بات علينا معرفة هذا البعد الجديد في الحياة الإنسانية، أي تشكل المجتمع ثم مراقبة احتضاره وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وكيف يتم ذلك؟ وبأي آلية؟ وفي أي ظرف؟ وتحت أية شروط؟ (لكل أمة أجل).

يرى بعض المتشائمين أن المجتمع العربي قد تحوّل إلى جثة على طاولة التشريح فهو بحكم الميت، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك ففي نظرهم أنه سيندثر بشكل نهائي في القرن القادم.

إن هذا الإنذار المرعب (Prognosis)(١) يشكل حالة متقدمة حتى عن وضع السرطان، فيبقى السرطان مرضاً لاأمل في الشفاء منه، مع هذا يبقى المريض مريضاً، أي أنه ما زال حياً يرزق، ولو أنه محكوم عليه بالإعدام.

وقد يمضي في تحليله خطوة أبعد، إذ يعتبر المجتمع العربي بحكم الميت مع كل مظاهر الحياة والنشاط لأفراده !! فمن أين جاء بتحليله هذا ياترى ؟؟

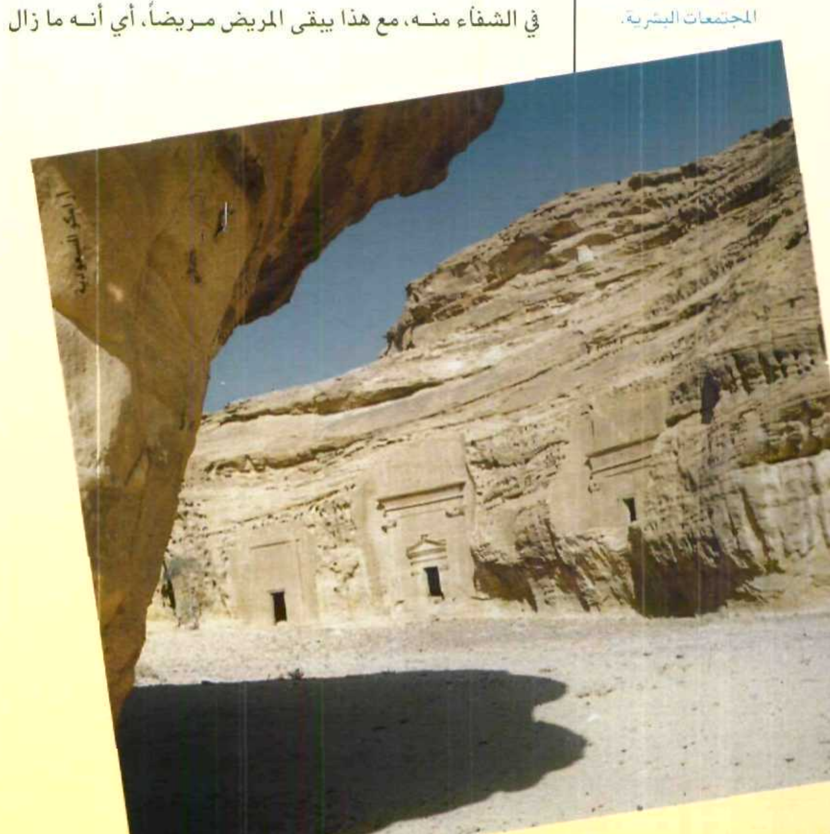
إن هذا الشخص لابد أن تكون عنده من الشواهد والمؤشرات عن وضع المجتمع، ولادة أو موتاً، عافية أو اعتلالاً، ما يجعله يطرح هذا التشخيص فيعتبر الجسد الاجتماعي (جثة).

نحن معشر الأطباء عندنا من المؤشرات ما فيه الكفاية على موت الفرد عضوياً مثل انعدام النبض، وتوقف ضربات القلب، وغياب التنفس، وعدم تدفق الدم بجرح الجلد، أو توقف النشاط الكهربي للقلب والدماغ ولمدة طويلة.

ما هو المجتمع ؟

لايمكن أن نفهم موت المجتمع، ما لم نفهم ما هو المجتمع بالأصل؟ فإذا استطعنا أن ندرك طبيعة هذا الكائن النوعي أمكن لنا أن نحدد مرضه من صحته، وموته من حياته، فالمجتمع ليس مجموعة أفراد بل هو (شبكة علاقات) تنظم نشاط الأفراد (٢)، فإذا أردنا تصور (الشبكة

«مدائن صالح» تشهد على اندثار أحد المجتمعات البشرية.



الاجتماعية) أو (النسيج الاجتماعي) أمكن تشبيهه بالخيوط والعقد، العقدة الواحدة متصلة بالعقدة الثانية من خلال خيوط الشبكة، وبذلك فإن كل عقدة متأثرة سلباً أو إيجاباً بوضع الخيوط التي تصل ما بين هذه العقد، وتعطينا البيولوجيا مثالاً لهذا الوضع، حيث تترابط ما يزيد عن ١٠٠ مليار خلية عصبية (النورونات - Neurons) في الدماغ من خلال نسيج عصبي كثيف، كل خلية مزودة بحوالي ألف ارتباط، بحيث يشكل الدماغ الذي يحمله كل فرد منا في رأسه أكبر وأعقد من كل الكون المحيط بنا. وتتعاون هذه (النورونات) من خلال نظام التحام بين كل خلية وأخرى، تسري فيها سيالة عصبية، تعبر هذا النسيج من أقصاه إلى أقصاه، بحيث تحيل الدماغ في النهاية إلى وحدة عمل مركزية واحدة منسقة مبدعة، والنسيج الاجتماعي، أي شبكة العلاقات والخيوط التي تربط بين الأفراد تتعلق بالأفراد الذين يفرزونها، ولذا فإن وضع الشبكة المرتخي أو المشدود، النشيط أو الخامل، يتعلق بالأفراد الذين يحفظون هذه العلاقات أو يدمرونها، وينبني على هذه الفكرة أمرين مهمين:

- **الأول:** أن قوة الشبكة الاجتماعية وإحكامها هي من قوة الأفراد لأنها من صناعتهم.



حركة الناس في المدن تدل على حيوية المجتمع.

- **الثاني:** أن الأفراد قد يمزقون هذه الشبكة، فيما لو شُد الخيط أو توتر بشكل زائد لمصلحة أحد العقد، وهي (الظاهرة الورمية)، حيث تؤدي ضخامة الفرد (العقدة في الشبكة الاجتماعية) إلى قطع الأوتار الاجتماعية، وبالتالي بداية تدمير المجتمع على حساب نمو الأفراد وضخامتهم، فالسرطان ليس سوى مجموعات من الخلايا تعلن التمرد على النظام لحسابها الخاص، غير عابئة بما يحصل للجسم.

يقول مالك بن نبي: «بيد أن جميع أسباب هذا التحلل كامنة في شبكة العلاقات، فلقد يبدو المجتمع في ظاهره ميسوراً نامياً، بينما شبكة علاقاته مريضة، ويتجلى هذا المرض الاجتماعي في العلاقات بين الأفراد، وأكبر دليل على وجوده يتمثل فيما يصيب (الأنا) عند الفرد من (تضخم) ينتهي إلى تحلل الجسد الإجتماعي لصالح الفردية، فالعلاقات الإجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم، فيصبح العمل الجماعي المشترك صعباً أو مستحيلاً»(٣).

طبيعة العلاقات بين العناصر:

كان اكتشاف حلقة البنزين في الكيمياء العضوية مثيراً للغاية، فالسكر السداسي (الغلوكوز) الذي يستخدم للطاقة

يعبرّ الإنتاج مهما كان شكله عن تطوّر المجتمع.





أصبحت التقانة الحديثة رمزاً للتقدم الحضاري.

في جسمنا، مكون من ذرات من الفحم الأسود (الكربون)، كما أن الألماس الرائع الصلد، مكون من ذرات من الكربون الأسود المضغوط.

فالذي منح السكر الحلاوة المنعشة والطاقة الرائعة، وأعطى ذرة الألماس الصلابة الشديدة والتألق المدهش الفذ، هو طبيعة التركيب الداخلي، مع أن ذرات الكربون بالأصل سواد وقتام، وهشاشة وضعف بين العناصر المعدنية. وكذلك المجتمعات، فالذي يسمْ المجتمع بالقوة أو الضعف، بالتميز أو السطحية، بالتفوق أو الانحطاط، هو نوعية العلاقات بين أفراده. وبذلك تفوق المجتمع الياباني وتأخر المجتمع العربي، مع أن النقطة الزمنية لاحتكاك كلا المجتمعين بالمجتمع الغربي كانت متقاربة، فارتفع المجتمع الياباني وحلق، في حين أن المجتمع العربي ما زال يجرجر أقدامه المتعبة المريضة، ويعجز عن السيطرة على حل مشاكله، وبين عامي ١٩٦٠م و١٩٩٠م حقق المجتمع (الكوري) قفزة نوعية وبقي المجتمع الغاني يتجرع غصص التخلف، مع أن مستوى دخل الفرد كان واحداً في نقطة البدء !!(٤).

إذاً المجتمع هو عبارة عن تركيب كما في التراكيب الكيمياوية العضوية،وهو بالتالي ليس مجموعة أشخاص ، ونحن نعلم من الكيمياء العضوية، ، أن تغيير فاعلية مركب، من وضع إلى وضع ، يتم من خلال السيطرة على تغيير نوعية العلاقات الكيميائية الداخلية، ويبقى الكم الذري دون نقص أو زيادة ، فينقلب المركب الخامل إلى فعّال، والدواء إلى سم زعاف، والسم إلى ترياق ، كما حصل مع باول ايلريش بعد ٦٠٦ من المحاولات؛ لقلب التركيب الكيميائي لبعض الأصبغة، فتحول المركب السام في النهاية إلى ترياق وعقار، لمعالجة داء فتك بالجنس البشري أكثر من ٤٠٠عام (٥).

موت المجتمع :

إن المجتمع يمرض ويموت إذا تورم الأفراد وتحولوا إلى قوارض تلتهم الشبكة الاجتماعية، عندها ينحدر صوب الفناء والموت، وبنفس الآلية التي يموت فيها الأفراد.

حين نقارن ظاهرة الفك والتركيب لأي شيء تحت أيدينا من مثل الطاولة أو السيارة ، لوجدنا أن القطع أو الأجزاء، التي تشترك في تركيب الطاولة أو السيارة لاتشكل طاولة ولاسيارة والسبب هو أن السيارة تأخذ وظيفتها

يد الإنسان الماهرة توفّر من المواد البسيطة الكثير من حاجاته .



وشكلها الذي يمنحها الاسم من اتصال القطع وتلاحم الأجزاء، فتقوم السيارة بوظيفة محدد من مثل الحركة لنقل الركاب والأمتعة .كذلك الحال في الكرسي الذي نجلس عليه، فإذا التأمت قطعه، وتضافرت عناصره الأولية،لتؤدي وظيفة الجلوس عليه، استحال إلى كرسي، أما قطعه الأولية فليس لها اسم، وأجسادنا هي تركيب من هذا النوع، وما يحدث في الموت، شبيه بما يحدث للكرسي عندما تتناثر قطعه، وتعود إلى سيرتها الأولى، أو للسيارة عندما تفكك وترجع إلى وحداتها الأولية، فالجسد مكون من ماء ، ومقدار من الحديد يكفي لصناعة مسمار صغير، وقبضة من الكلس، وكمية من الكبريت تكفي لإشعال عود ثقاب .. وهكذا.

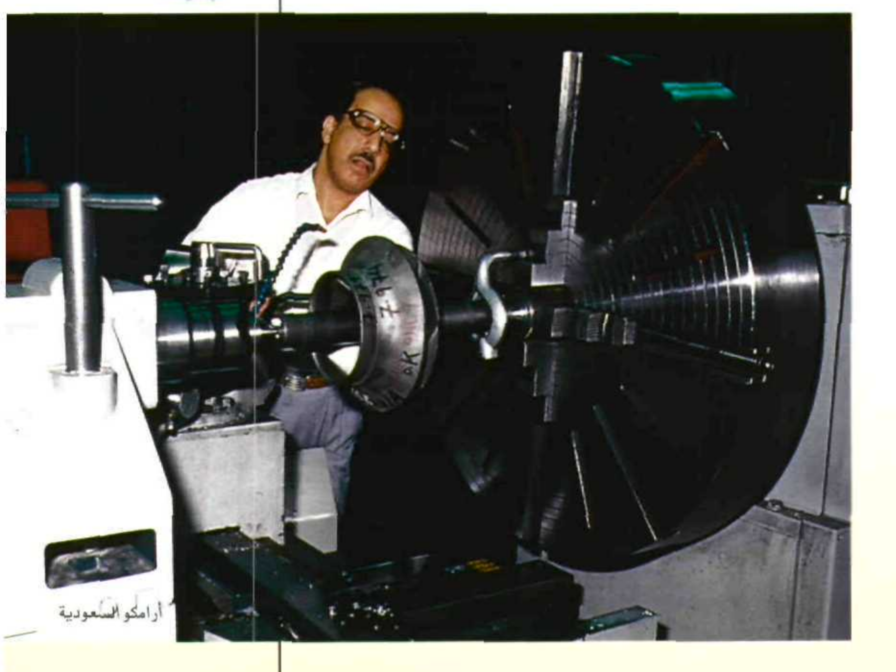
فنحن كمواد أولية لانساوي شيئاً مذكوراً، ولكننا في تركيبنا الإنساني لانقدر بسعر، إن العنصر الواحد مثل حديد الدم، أو فوسفور المخ، ويود الدرق، أو كلس العظام، مصيره في النهاية إلى التراب، إلى دورة الطبيعة، ليعاد تشكيله واستخدامه مرة أخرى، في غاية جديدة، ونشأة مستأنفة، والمجتمع عندما يبدأ بالانهيار يمر بنفس المراحل التي يمر بها موت الإنسان من شلل الوظيفة لينتقل بعدها إلى مرحلة اندثار الشكل ودماره الكاملين .. ليتحول في النهاية إلى مجموعة من البشر لايجمعها رابط، أو يضمها مثل أعلى، أو يحدوها قيم عليا، أو ينتظمها تنسيق مشترك، فيعيش كل فرد لنفسه، أو يتحول الإنسان من (الشخص) إلى الفرد فيخسر ذلك البعد الذي منحه إياه المجتمع، حينما أضاف إليه المعادلة الاجتماعية، ومن الملفت للنظر أن القرآن الكريم أشار إلى المَيْتَتَين، فذكر موت (الفرد) ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ كما أشار إلى موت الأمم والمجتمعات ﴿لكل أمة أجل﴾ (٦). فالأجل هنا جماعي وليس فردياً. وهذا يعني أن الأمم تموت، والدول تنتهي(٧) والشعوب تفنى والحضارات تباد وتنهار(٨).

إن المجتمع الفرعوني حينما اندثر تحول أفراده إلى لبنات في مجتمع زاحف نام متفوق، كوّن بها نفسه من أفراد المجتمع الميت، الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة، وهكذا تحول المجتمع الفرعوني إلى مجتمع روماني، ثم مات بدوره ليتحول إلى مجتمع إسلامي وهكذا طوى التاريخ بين جنبيه مجتمعات تترى، مثل المجتمع اليوناني والقرطاجني والازتيك، والإنكا والوبيخ.

السلسلة الذهبية :

إن مفهوم السلسلة الذهبية، يعطينا فكرة أن المعاملات أيا كانت - شئنا أم ابينا - حتى تنجز تتكون من سلسلة من الأفعال الاجتماعية، يقودها الأفراد، من خلال معادلة (حق - واجب) أي أن الواجب الذي يؤديه فرد في سلسلة (أ) سيكون له حقاً في سلسلة (ب) مثل نقل رسالة بريدية.

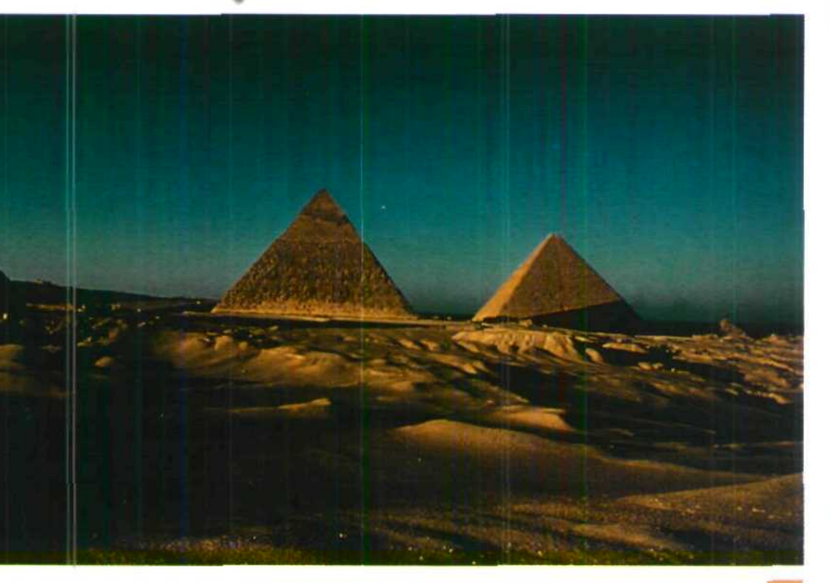
الصناعات المعقدة بدأت من أشكالها البسيطة.



أرامكو السعودية

إذا كانت السلسلة الاجتماعية مكونة من عشر حلقات بين الرئيس، ومساعده، والسكرتير، والموظف المتلقي، وحامل الأوراق، والمدقق، والناسخ، والضارب على الآلة الكاتبة، وصاحب الكمبيوتر، والجالس خلف سنترال التلفون. فإن اضطراب حلقة واحدة من هذه السلسلة يؤدي إلى اختلال العمل بأكمله، وهذه المشكلة مهمة في التركيب الاجتماعي.

لقد أصبح انجاز معاملة كأنه إزاحة جبل، والسر في هذا هو تقطيع (نقط الاتصال والالتحام الاجتماعية) بين حلقات السلسلة الذهبية التي أشرنا إليها، فلا تعود ذهبية بل تتحول إلى سلسلة حديدية صدئة، والصدأ على كل حال يعني التفكك والعودة إلى حالة الخام الطبيعي، فإذا اضطربت السيالة



حينما اندثر المجتمع الفرعوني تحول أفراده إلى لبنات في مجتمع نام متفوق.

الاجتماعية، وتقطعت حلقات متعددة، من سلاسل شتى، كان ذلك مؤشراً خطيراً لتدمير النسيج الاجتماعي، وكان معناه أن المجتمع بدأ يتحول إلى مجمّع هزيل، وفي النهاية يصبح المجتمع أمام طريق مغلق، وعليه أن يولد من جديد، إما بحزمة قيم جديدة بالولادة الروحية الجديدة كما فعل الإسلام مع العرب في الجاهلية(٩)، أو الذوبان والتواري خلف مجتمعات قوية متفوقة.

أنواع المجتمعات :

هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات هي : مجتمع (مضخة الماء) والمجتمع (الكهربائي) والمجتمع (الالكتروني)، فعندما لاتسير المعاملات إلا بطريقة الدفع المتتابع المستمر فإن ذلك من طبيعة مجتمعات مضخة الماء، فالماء يتدفق طالما بقيت اليد تعمل، فإذا توقفت عن العمل انقطع الماء، وهكذا المعاملة التي تقف مباشرة قبل هدفها، فلا تولد أو ترى النور دون الحقنة الأخيرة، أما المجتمع (الكهربائي) فهو الذي يتحرك بكبس الأزرار، فتمشي المعاملة لوحدها من غير متابعة إلى مقرها الأخير، بسبب قوة كل حلقة من (السلسلة الذهبية)، وهكذا تولد كل معاملة وصاحبها مطمئن إليها طالما حرّكها، وهذا ما يحدث في المجتمعات الغربية، وهي من أسرار تفوقهم وقوتهم، فلا تحتاج أي معاملة إلى متابعة أو ملاحقة، فضلاً عن نشوء مؤسسات خاصة في المجتمع لمثل هذه الوظائف البسيطة (تخليص المعاملات - متابعة الجوازات - التحصيل الفوري للديون) أما المجتمعات المستقبلية مجتمعات (النبض الالكتروني) فهي تلك التي تتربع على عرش الالكترونيات، ويفتح لها القرن الواحد والعشرون ذراعيه للاحتضان، مثل المجتمع الياباني وحتى يمكن نقل المجتمع من عصر (مضخة الماء) إلى (الفعل الكهربائي) فضلاً عن (التوهج الالكتروني) فلابد من أخذ عناصر العملية الاجتماعية بالاعتبار، فإذا أدى أحد (حلقات) السلسلة عمله بفعل جذبي انشل المجتمع، وإذا تحول إلى روح الواجب ضمن المراقبة المتقابلة المزدوجة وبآلية النقد الذاتي تحول إلى مجتمع (حركة الكهرباء) فإذا قفز إلى روح (المبادرة) أصبح بسرعة الومض الالكتروني !! ولله في خلقه شؤون.

إن تمزق شبكة المجتمع يجعل كل عناصره تدفع الثمن مع كل فوائده المركبة، حتى من هم في قمة الهرم، والسبب أن (الماكينة الاجتماعية) لاتعمل، فالأوامر التي تأتي من فوق تفقد حرارتها عند هبوطها إلى أسفل، فتتباطأ ويتوقف الانتاج، كأنها تماثل القانون الثاني في الديناميكيا الحرارية، فهي تبرد مع الوقت، في حين أن المحافظة على الشبكة الاجتماعية يجعل الحياة سهلة وممتعة لكل فرد، حلوة لكل من يشارك في نشاطها ■

هوامش ومراجع :

(١) الإنذار مصطلح طبي عن توقع حالة المرض للمستقبل.

(٢) جاء في كتاب (ميلاد مجتمع) لمالك بن نبي - ترجمة عبد الصبور شاهين - اصدار ندوة مالك بن نبي - ص ١٥ : «المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل هو تنظيم معين ذو طابع انساني، يتم طبقاً لنظام معين، وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم بناء على ما تقدم وعلى عناصر ثلاثة : ١ـ حركة يتسم بها المجموع الإنساني. ٢ـ إنتاج لأسباب هذه الحركة. ٣ـ تحديد لاتجاهها».

(٣) كتاب ميلاد مجتمع - المصدر السابق - ص ٤٠ «فقبل أن يتحلل المجتمع تحللاً كلياً يحتل المرض جسده الاجتماعي في هيئة انفصالات في شبكته الاجتماعية، وهذه الحالة المريضة قد تستمر قليلاً أو كثيراً قبل أن تبلغ نهايتها في صورة انحلال تام، وتلك هي مرحلة التحلل البطيء الذي يسري في الجسد الاجتماعي».

(٤) كتاب (التحضير للقرن الواحد والعشرين) تأليف باول كندي - النسخة الانكليزية، ص١٩٣. ويذكر المؤرخ أن دخل الفرد كان في البلدين عام ١٩٦٠م ٢٣٠ دولاراً في السنة ليصبح اثني عشر ضعفاً للكوري ويبقى الغاني على حاله.

(٥) يراجع قصة الميكروب تأليف (بول دي كرويف) - ترجمة أحمد زكي - لجنة التأليف والترجمة والنشر - بحث الرصاصة المسحورة - ص٣٣٩.

(٦) راجع الآية رقم ٤٩ من سورة يونس : ﴿لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾ وراجع الآية رقم ١٩ من سورة ق : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

(٧) أشار ابن خلدون في مقدمته أن الهرم إذا نزل بدولة فلا يرتفع لأن لها أجلاً طبيعياً راجع المقدمة ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٨) راجع مختصر دراسة التاريخ للمؤرخ البريطاني توينبي عن انقراض ٢٣ حضارة من أصل ٢٨ حضارة مرت على ظهر البسيطة.

(٩) مالك بن نبي المصدر السابق، ص ١٠٠.

رمز الموت في عودة السيّاب إلى «جيكور»

بقلم : سارة مطر - الظهران

لم يكن الموت في شعر بدر شاكر السياب (١٩٢٦ - ١٩٦٤م)، واقعة حياتية مجردة من مغزاها أو مدلولها الفكري. بل كان حالة من السؤال الدائم، فهو شاعر مسكون بالموت منذ طفولته البعيدة، النائمة تحت أطراف أصابعه، لكنه - بقدرة شاعر كبير - استطاع أن يجعله شيئاً أليفاً، يلتقطه من أقرب التفاصيل التي يلامسها في حياته.

لقد كان الموت ينهي أغلب قصائد السياب، وكان هو مفتوناً بهذا الغموض. لكنه ظل مفتوحاً خارجها، فكأن قصائده تبدأ زمنياً حيث تنبعث بعد أن يهيمن عليها طائر الموت داخل البناء الشعري.

هذه الطبيعة التمددية لقصيدة السياب، تلخص ياسمين رحلته النهرية الزمنية القصيرة، وترينا بوضوح فاتن بدء حياته وخلاص نهايتها. فثمة قوسان كبيران يحتويان مفردات وجعه وألوان أيامه. إنهما قطبان لايتباعدان إلا ليلتقيا ثانية في حنين متبادل، إنهما الرحم والقبر.

ولنتجاوز هنا الشبه الظاهري بينهما : في الظلمة، وسبات الحياة خلف غلافيهما، وفي استدارتهما الشكلية. ونقف عند مغزى هذا الحنين إلى العودة ثانية إلى رحم الأم من خلال الموت. ولنقترح هنا قراءة شعر السياب من خلال العودة إلى «جيكور» : قريته التي ولد فيها، فكانت الرحم الأكبر الذي خرج منه، وأوصى أخيراً أن يدفن فيها، أي أن تتحقق له أمنية العودة (أو الاختفاء) في الرحم نهائياً تجسيداً لاعتقاده بالانتصار من خلال الموت، وهي الحكمة التي اكتسبها من تأثره بالعادات العراقية القديمة، وانبعاث تموز كل عام في فصل الربيع.

ولكن هذه العودة - الحلم - ليست ميسورة، فجيكور هي نفسها أكثر من قرية ولد فيها الشاعر، إنها بديل ليوتوبيا لم تهبها له المدينة حين جاءها طالباً وعمل فيها وأقام، لذا لم تكن العودة إلى جيكور ممكنة إلا باجتياز الأسوار التي صنعتها المدن وهي تلتف كالحبال الطينية، تمضغ قلب الشاعر كما يقول في إحدى قصائده.

وراء الأسوار تقبع جيكور، خضراء، أشبه بمنظر طبيعي من صنع الخيال :

وجيكور خضراء
مسّ الأصيل
ذري النخل فيها
بشمس حزينه

هذه الصورة الملونة لجيكور، نجدها في أشعار السياب الأولى، ثم نلتقيها في مرحلة صدامه مع المدينة، حين جعل السياب جيكور بمواجهة المدن التي حاصرت خطواته، وحين نتطلع إلى (جيكور) الشعرية، ونفك رموزها، سنجد أنها شبيهة بالأم التي ماتت وفارقت ابنها طفلاً، فالأم تغيب في القبر الذي يقوم من دونها كالسور :

أماه .. ليتك لم تغيبي خلف سور
من حجار
لاباب فيه لكي أدقّ، ولانوافذ في
الجدار
(الباب تقرعه الرياح)

وهذا السور نفسه يلتف حول جيكور، ويحول بين ابنها وبين عودته إلى شوارعها :

وجيكور من دونها قام سور
وبوابة
واحتوتها سكينه
فمن يخرق السور ؟ من يفتح الباب؟
يدمي على كل قفل يمينه
(جيكور والمدينة)

أما المدينة فهي تمثل في شعر السياب مكاناً للحياة، بكل ما فيها من قسوة واحتدام، إنها تطبق قانونها الظالم، الذي يجعل الشاعر، يهرب عكسهما باتجاه القرية - الرحم الأكثر أمناً وسلاماً. أي باتجاه الأم التي أخذها الموت المبكر، فالقبر والرحم (الأم وجيكور) يتّحدان تماماً،

حتى ليتساءل السياب :

إيه جيكور، عندي سؤال، أما تسمعينه ؟
هل ترى أنت في ذكرياتي دفينه
أم ترى أنت قبر لها ؟
(جيكور شابت)

ويفسر حبه لأفياء جيكور، وظلال أشجارها وبيوتها بأنها امتداد لأمه الممدّدة في قبرها :

أفياء جيكور أهواها
كأنها انسرحت من قبرها البالي
من قبر أمي التي صارت أضالعها التعبى وعيناها
من أرض جيكور ترعاني وأرعاها
(أفياء جيكور)

في القرية تستطيع أن تسمّي البيوت كما تتعرف على الناس بأسمائهم، وتستطيع أن تمر بقبور الموتى. وهنا ينقل السياب هذه الواقعة الحياتية ليجعل الموت مشهداً رمزياً إذ يدمج القبر بالمكان. فالأرض صارت أضالعها، وعيناها جزءاً من أرض جيكور، وهذا تفسير واضح لحنينه إلى جيكور كلما ضاقت به دروب المدن.

وجيكور ذاتها تمتد، في إحدى قصائده، (حتى حدود الخيال) فتتسع لأحزان وأفكار وهواجس أكبر من سعتها كقرية، وهي كذلك في ذاكرة الشاعر، فهو يناديها قائلاً (جيكور أمي)، ويراها (خلف الدجى والدروب وخلف البحار).

أما المدن فهي متشابهة إنه يرى في لندن، وباريس، وروما، وبيروت والكويت، وبغداد أيضاً، الأضواء والضجيج لكنه لا يرى صديقاً.

ويسمي لندن (مدينة السراب)، ويتحدث عن الثلج فيها والدخان والضباب والمداخن العظام. لكنه يفتقد الأزهار الحية والأطيار :

هنا، لا طير في الأغصان تشدو غير أطيار
من الفولاذ تهدر أو تحمحم دونما خوف من المطر
ولا أزهار إلا خلف واجهة زجاجيه
يراح إلى المقابر والسجون بهنّ والمستشفيات :
ألا .. ألا يا بائع الزّهر
أعندك زهرة حية ..؟
(سفر أيوب)

إن شوارع لندن صماء، لأنها لم تسمع صراخ جسده المريض وروحه التي تعذبها المعاناة. وفي باريس يحدث الشيء نفسه، فهو يحن إلى (جيكور) ويفتقد أحباءه ويرسم للمدينة وجهاً قاسياً، تخيله ولم يره حقيقة (لأنه كان مقعداً حين مر بباريس). وإنما هو يتخيل وجهها عبر ما اختزلته ذاكرته من صور للمدن :

أحسست وخز الليل في باريس،
واختنق الهواء ..
(ليلة في باريس)

أما المدينة التي حلم بها السياب، فلم توجد بعد، إنها نائية، بابها مسدودة، وهو يقف خلفها في انتظار.. كما يقول في : مدينة السراب، وهي مثل (جيكور) لا تقدم له إلا صورتها الملونة :

لبس في جيكور محتكرُ
ولافيها مصارف أو جرائد
(ليلة في لندن)

فالمال والكلام مسفوحان في المدن، بينما تبرز جيكور امتداداً لذراعي الأم الحانية التي تعطي ما تعطي دون انتظار جزاء. وإذا كان السياب، يهز أشجار بيروت فلا يتساقط (غير الردى والحجار) فإنه يصف أشجار (جيكور) بأنها (دائمة الخضرة)، وهذا وحده كاف لتصوير مدى ارتيابه من المدينة، وحنينه إلى القرية لا باعتبارها مكاناً مغايراً، بسيطاً وأليفاً، بل لأنها تسكن قاع روحه ولأن جذوره فيها تدعوه وتشده إلى آصرتها :

وتلتف حولي دروب المدينه
حبالاً من الطين يمضغن قلبي
ويعطين عن جمرة فيه طينه
حبالاً من النار يجلدن عري الحقول الحزينه
ويحرقن جيكور في قاع روحي
ويزرعن فيها رماد الضغينه
(جيكور والمدينه)

إنه يفر من المدن إذن، خلاصاً لجذوة روحه ولاتقاد جمرتها التي تريد المدن أن تستبدل بها رماد الضغينة.

ثم تمتد جيكور لتزحف من مكانها الرمزي وتغدو كما يقول:

أين جيكور ؟
جيكور ديوان شعري
موعدٌ بين ألواح نعشي وقبري

لقد جمع خلاصة حياته في الشعر، من شوارعها وغرف بيوتها ونيران تنورها ومن شرفات شناشيلها ونخيلها. وهي، كما كانت بدء حياته، ستكون نهايتها، فهي موعد بين نعشه ومثواه في القبر. إنها زمان يحتويه ويهيء نهايته لأنه لا وجود له خارجها. قد لا ترى النظريات الأدبية الحديثة في هذا الحنين القروي إلا ذعراً أو خوفاً وهروباً من المدينة، أو بقايا إحساس رومانطيقي قديم، وقد لا تجد النظريات النفسية، في حالة عودته إلى جيكور غير نكوص إلى طفولة لم تكتمل بسبب غياب الأم المبكر، ولكن القراءة المتفحصة التي تزيل أغلفة النص برفق ودقة، ستجد أن السياب ماض في ترميز قريته، جاعلاً منها مأواه، لكنها ليست سعيدة على الدوام، ففيها شقاء لابد منه. إن جيكور كسائر القرى، لا ترد عن نفسها الموت، وهي تشيب، ويخطف الموت أبناءها كما يخطف الثعلب دجاج القرى، لذا نجده يصور الجرار وهي فارغة، جفت مياهها، وغابت الشموس وأفلت النجوم .. وخلت الطرقات، إنه الموت أخيراً.

إن ثمة دورة طبيعية لا راد لها، هي دورة الولادة والموت، الظهور والاختفاء، الشروق والغروب، وهكذا يجد السياب أمثولة وحكمة في دوران الفصول :

خريف، شتاء، أصيل، أفول
وباق هو الليل بعد انطفاء البروق
وباق هو الموت، أبقى وأخلد من كل ما في الحياه .
(نداء الموت)

لقد اتسعت جيكـور في المكان، كما امتدت في الزمـان، وصار لها وجود خارج زمانها. أصبحت المكـان الذي يتغير فيه الزمن ويتحـول، أمـا الإنسان فهـو يـرصـد ذلك ويشتق منـه دروس مستقبله.

لم يستطع السياب أن يجعل جيكور لوحة شعرية خالصة أو مشهـداً طبيعيـاً جميـلاً فحسب، بل راح يعـرض أفكـاره وانتكاسات حيـاته وأزماته النفسيـة والصحية والاجتماعية لينهض المكان رمزاً يستوعب حالات الشاعر كلها.

لقد تآزر المرض والإحباط الـذاتي من السياسة والمجتمع في نهاية الخمسينات والنصف الأول من الستينيات، على تلوين شعـر السيـاب بتشـاؤم واضح نـراه في استخـدام الأسـاطير والرموز العـراقية القديمة، وبعض صـور الفداء والتضحية في أقنعة تاريخية محددة.

وفي ترميزه المستمر لجيكور، كان السياب يضع فيها خطى عشتار وتموز وغيرهما، وحين يصيبـه الشلل ولايكاد يستطيع السير يشتاق إلى جيكور البعيدة فيقول :

أهي عامورة الغويَّةُ أم سادوم ؟
هيهات .. إنها جيكور :
جنة كان الصبا فيها وضاعت حين ضاعا
آه لو أن السنين السود قمح أو صخورُ
فوق ظهري حملتهن، لألقيت بحملي فنفضت جيكور
عن شجيراتها تراباً يغشيها وعانقت معزفي ملتاعا
يجهش الحب، به، لحناً فلحناً ولقاءً فوداعاً .
(جيكور أمي)

إن فقـدان الزمن هنـا، ينسحب على المكـان فتغدو جيكـور نفسها ضائعة، لأن الصبا ضاع فيها، وهذا ما يمكن تسميته بـ (التماهي في المكان) إذ يتجـاوز السياب ترميز جيكـور نقيضاً للمدينة، ويجعلها مرادفـاً لروحه حتى إذا أحس أن (جيكور) بدورها شابت وضاع صباها. فالمكان خارجنا عادة، ونحن نراه وفق ما تكون عليه نفوسنا.

يشتاق السياب إلى قريته، فيفـر إليها كطائر إلى عشه بعد الغروب (كما يقول في إحدى قصائده) لكنه لايرى فيها الآن ما كـان يـراه من قبل، لقـد انهدم بنيانـه وكـان مثل (عمـود ملح يسير). فماذا ظل في جيكور ؟ :

آه جيكور، جيكور
ما للضحى كالأصيل .
يسحب النور مثل الجناح الكليل ؟
ما لأكواخك المقفرات الكئيبه
يحبس الظلَّ فيها نحيبه ؟
أين .. أين الصبايا يوسوسن بين
النـخـيـل
عن هوى كالتماع النجوم الغريبه
. . . .
... وجيكور شابت وولى صباها
وأمسى هواها،
رماداً ، إذا ما
تأوّهن هزته ريح
(جيكور شابت)

يمكن أن يعد القارىء هذا التحول في ترميز المكان تناقضاً، فلقـد طـورت جيكور مـن (منظر طبيعي) إلى (يـوتـوبيـا) ثم استقـرت ملاذاً بـديلاً للسيـاب في حصار المدن. لكنهـا تحولت أخيراً إلى قبر، وبقدر سعادته بالعودة إلى الرحم من خلال الموت وإيمانه بالانبعاث التموزي كما تقـول الأسطورة البابلية، فإن السياب يحس بالـذبول أكثر من سواه، ذلك أنه شـاعر طبيعة ريفية منـذ بدايـاته، وهـو لايستطيع أن يرى جيكـور كما كان يراها من قبل، وهو يلهـو راكضاً بين نخيلها، وحدائقها أو حين كانت لـه قدما صبي ومخيلـة فتى يلاحق الفراشـات في حقول بلدتـه ويقرأ اشعـاره عند ضفاف سـواقيها، ونهرهـا (بويب) الذي ذكره في شعره كثيراً.

يظل سـؤال لم تجب عليه أغلب الـدراساتٰ، التي تنـاولت شعر السياب، وهـو أكان السياب رومانطيقيـاً حقيقياً، يعشق القريـة ونخلها وماء أنهارها وأشجـارها وحقولها وأطيـارها ونسيمها وصيفهـا ومطرهـا وغيومهـا ومعابـرها وشنـاشيل بيوتها؟ أم كان يعشق نموذجه البديـل، بعد اصطدامه بالمدينة كقـــوة متسلطـة وشعـوره بـالخوف وانسحابـه من الحيـاة بسبب المرض؟

لقد كان السيّاب من جهة، لايعطي إجابة محددة في شعره، فهـو إذ يجعل من جيكـور رمزاً، فإنما يصنـع (جيكوره) هـو : أرض مولـده وقبر أمه ومـوئل جسـده بعـد الموت، إنه يخاطب جيكور قائلاً بما يشبه الوصيـــة :

جيكور لمِّي عظامي، وانفضي كفني
من طينة، واغسلي بالجدول الجاري
قلبي الذي كان شباكاً على النار
(أفياء جيكور)

فهو يحس أن ليس سوى (جيكور) من يستطيع أن يداوي جراحه، ويلم عظامه، إنه يصفها في القصيدة نفسها بأنها باب (الميلاد الموصول بالرحم) وهـذا تأكيد على أنها تفعل ما تفعله الأمهات بعد الموت، يغسلن أجساد أبنائهن الموتى ويهيئن لهم الأكفان.

إن جيكور كما كانت باب الميـلاد المؤدي إلى الرحم، ستكون باب القبر المؤدي إلى الموت، حيث الأم في الحالتين تنتظر ابنها الذي فارقته صغيراً.

وهذا هـو جوهر معـاناة السياب، وبحثـه عن المكان الآمن الذي أوصى أن يدفن فيه بعد موته، رمز للعودة إلى الرحم حيث الأم التي قامت دونها الأسوار طويلاً ■

نحو تصوّر علمي لإنقاذ الحياة الفطرية

بقلم الأستاذ: مجدي محمد عيسى ـ الرياض

اقترن ظهور تحديات جسام للبشرية في مجال البيئة والمحافظة عليها بالتقدم التقني الكبير، الذي يعد معلماً من معالم الواقع الدولي المعاصر، فالإنسان نجح بالعلم والتقنية في ارتياد الفضاء ويطلق الأقمار الاصطناعية وصنع الصواريخ عابرة القارات وأسلحة الدمار الشامل، والطائرات النفاثة، والحواسيب باستخداماتها المتعددة. ومع ذلك فإن البيئة قد أُصيبت بأضرار بالغة من جراء هذا التقدم، حيث تلوثت بفعل المبيدات الكيماوية والمنزورات(١) وعوادم السيارات والقاطرات ومخلفات المصانع.



قلاع الصناعة حول العالم تساهم في تلويث البيئة نتيجة طرحها المخلفات في الهواء والماء والتربة

لقد أسرف الانسان إسرافاً شديداً في استغلال الطبيعة بما فيها من نباتات وحيوانات وطيور، حيث قام بدافع الرغبة لتحقيق الربح السريع أو اللهو بصيد أعداد كبيرة من الحيوانات والطيور النادرة، كما قام بتخريب البيئات التي تعيش فيها هذه الأحياء بشكل مخيف، ونتيجة لذلك تناقصت أعداد هذه الكائنات بشكل حاد يهدد بانقراضها، وهذا بدوره من شأنه الإخلال بالتوازن البيئي الضروري لحياة الحيوانات، وتأمين بقاء الجنس البشري، فالتنوع الأحيائي على الأرض مهم لتوفير بيئة متوازنة متكاملة تمد الإنسان باحتياجاته من الغذاء والدواء ويستجم فيها من عناء الحياة. ولذا لم يكن غريباً أن تهب جماعات ومنظمات حماية البيئة للدفاع عن الكائنات الحية في مواجهة جور الانسان، كما عقدت المؤتمرات الدولية التي تعنى بالحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث والحفاظ على التنوع الأحيائي وتنميته، وصدرت التشريعات الوطنية وبعض القرارات الدولية التي تضع ضوابط على عمليات صيد الحيوانات والاسماك بقصد حمايتها من الانقراض.

أهمية الحياة الفطرية :

نعرف مثلاً أن الحيوانات وخاصة الثدييات والقوارض تقوم بخلخلة الطبقة السطحية من التربة بما يزيد من قدرتها على تشرب الماء، وتلعب القوارض من خلال ما تحفره من جحور لنفسها دورا هاما في تهوية التربة وتقليبها فتختلط القشرة الخارجية من التربة بالمخلفات العضوية النباتية والحيوانية مما يزيد من خصوبة التربة، أما بعض الطيور كأبو قردان والعصافير فتلعب دوراً مهماً في تنقية التربة من الحشرات التي تتلف المحاصيل، وهنا نذكر ان عملية القضاء على العصافير التي قام بها الشعب الصيني في حملته الشهيرة، قد تسببت في تكاثر الديدان والحشرات التي أتلفت مزروعات تفوق كثيراً ما كانت تأكله العصافير، كما نجد أن بعض الحيوانات البحرية مفيدة في حفظ التوازن في بيئتها، وحين عمدت بعض دول شرق ووسط افريقيا إلى إبادة أفراس النهر (سيد قشطة)، لأن الواحد منها

يلتهم ستين كيلو غراما من الحشائش في اليوم الواحد، كانت النتيجة حرمان الأسماك من روث هذا الحيوان الذي تتغذى عليه النباتات التي تأكلها، واندثرت هي الأخرى. وفي الأرجنتين كانت إبادة التماسيح هي السبب في تكاثر الأسماك التي تقضم ألسن الخيل والبغال والأبقار إذا دنت من الماء لتشرب، وبالنسبة للأعشاب فإن الصحراوية منها خصوصا تعد مصدراً هاماً لعلاج الإنسان من كثير من الأمراض كالروماتيزم، والحصوات، والأمراض الصدرية، والقرح، وأمراض المسالك البولية، وهي بذلك تتفوق على العقاقير الكيميائية التي تخلف بعض الضرر على صحة الإنسان، وهناك ميزة أخرى وهي أن الحياة الفطرية تعد فرصة مغرية للاستثمار السياحي، ويكفي أن نذكر أن الإيرادات السياحية التي تحققها الشعب المرجانية في المياه البحرية لشبه جزيرة فلوريدا الأمريكية تصل إلى حوالي نصف مليار دولار سنوياً.

أسباب انقراض الحياة الفطرية:

يعود انقراض الأحياء النباتية والحيوانية إلى أسباب متعددة، يرجع بعضها إلى نشاط الإنسان ذاته والبعض الآخر يرجع إلى عدم قدرة بعض الحيوانات على التكيف مع الظروف المناخية المتغيرة، وهنا عرض لأهم هذه الأسباب:

استعمال المبيدات الكيميائية:

نظراً لتزايد استخدام المبيدات في القضاء على الحشرات في المنازل والمزارع والإسراف في استخدام هذه المواد السامة، حدث تلوث في التربة والهواء والماء مما أدى إلى نفوق كميات كبيرة من الأسماك وخصوصا في الترع والمصارف، كما انخفضت بشكل حاد أعداد أنواع من الطيور التي تتغذى على الديدان التي تعيش في الأراضي الزراعية كأبوقردان والهدهد وابوفصادة، وطيور اخرى كالحدأة والبوم والعصافير. وتتسم المبيدات بتأثيرها السمي الشديد وبخواصها التراكمية وبطء تحللها. إن نصف كمية المبيدات المستعملة في العالم تنتقل عبر الهواء أو الماء وغيرهما إلى أماكن بعيدة عن مواقع استعمالها، واذا علمنا أن هذه المبيدات تستقر في أجسام الحيوانات ولاتفرز مع الفضلات، أدركنا أن تلك الكميات تبقى مدة طويلة وتزداد باستهلاك الأغذية النباتية والحيوانية المعاملة بالمبيدات، كما أنها تنتقل عن طريق السلسلة الغذائية النباتية والحيوانية المعاملة بالمبيدات، إلى الحيوانات آكلة العشب فالحيوانات اللاحمة مما يزيد من تركيزها. وتبين الدراسات في هذا المجال وجود المبيدات في مناطق نائية وبعيدة عن أماكن استعمالها كالمناطق القطبية وخاصة في أجسام الأسماك التي تعيش في هذه المناطق.

يضاف إلى ذلك أن المبيدات أدت إلى انخفاض حاد في أعداد الحشرات النافعة كالحشرات المفترسة أو تلك التي تقوم بعملية التأبير، مما أدى إلى تقلص إنتاج النباتات من البذور. وقد اقتضى هذا الأمر استخدام الطائرات لرش حبوب الطلع على النباتات، كما أدى استخدام المبيدات إلى انقراض بعض أنواع الزواحف، ففي مقاطعة ألاباما الأمريكية

المحميات الطبيعية تساعد على تكاثر الحيوانات بعكس حدائق المدن التي تؤدي إلى اعاقة هذا التكاثر



انقرض ثلاثة أنواع من الثعابين وثلاثة أنواع من الضفادع بفعل استعمال المبيدات، كما انقرضت للسبب نفسه سبعة أنواع من الأسماك في غرب أمريكا الشمالية.

الصيد:

مع التقدم التقاني الهائل في هذا العصر، تزايدت عمليات الصيد في البر والبحر بشكل يبدو فيه الإسراف واضحا، حيث تستخدم في صيد الطيور والحيوانات البرية الأسلحة النارية والسهام المخدرة والشباك، وبالنسبة لصيد الأسماك فيستخدم ـ بالاضافة إلى الوسائل التقليدية الصنار والشباك ـ المتفجرات التي تقضي على كميات كبيرة من الأسماك خاصة الاسماك الصغيرة.

وتبين الدراسات أن أعداد الحيوانات قد انخفضت في افريقيا بمعدل ٩٠٪ خلال القرون الأربعة الماضية وذلك بفعل الصيد، وفي جزائر الكناري انقرض ٢٤ نوعا كانت تستوطن هذه الجزائر وذلك خلال الفترة من ١٧٨٨-١٩٨٨م، ويوجد في فرنسا لوحدها مليون صياد، وفي مالطة يقيم حوالي ١٠٪ من السكان البالغ عددهم ٣٠ الف نسمة حفلة سنوية لاصطياد أربعة ملايين طائر بري، وفي ايطاليا، يأكل الشعب حوالي ٥٠ مليون طائر من عصافير أبي الحناء والقبرة والطيور الفريدة الأخرى المحمية، وفي غابات فيتنام نجد أن شراك وفخاخ الصيادين تقتل أي حيوان تصطاده بلا تمييز، بما في ذلك الحيوانات المهددة بالانقراض كالنمور والدببة والفيلة، كما أن الغزال البطيء الجريء يوشك على الانقراض.

تغيير معالم البيئة:

نتيجة لما اقترفته يد الإنسان في هذا العصر من تخريب للبيئات التي تعيش فيها الحيوانات والطيور والأسماك، كقطع أشجار الغابات، وتجفيف المستنقعات، وردم البرك، وتدمير الشعاب المرجانية في أعماق البحار، والاحتطاب، والرعي وتجريف التربة، والإسراف في استخدام مياه الأنهار لأغراض الري، بالإضافة إلى تلوث الماء والهواء والتربة، انخفضت بشكل حاد أعداد الحيوانات والطيور والأسماك والزواحف، وأصبح بعضها مهدداً بالانقراض. فلكل دابة من مخلوقات الله وسط بيئي له مواصفات فيزيائية معينة، تعيش فيه وتتكاثر، وتدمير هذا الوسط البيئي أو إحداث تغييرات جذرية فيه من شأنه تعريض حياة الحيوانات للخطر، إذ أن علاقة الحيوانات بالبيئات التي تعيش فيها ليست علاقة غذائية، بل علاقة تمثل بالنسبة للحيوان السكن والمأوى الآمن والحيز الطبيعي لممارسة حياته بشكل عادي، فإذا حرم الحيوان من بيئته فإن نموه يتعثر وكذا تكاثره ويكون مهددا بالانقراض. والمثال على ذلك ما حدث من كارثة بيئية في الاتحاد السوفيتي السابق من جراء الزراعة المكثفة للقطن، وتتمثل هذه الكارثة في نضوب بحر أورال في شمال اوزبكستان، فلكون القطن يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه لريه فقد شقت قناة كاركوم سنة ١٩٥٣م لتوفير كميات ضخمة من المياه إلى حقول القطن مما أدى إلى النفاد السريع لبحر أورال الذي يصب فيه النهر، وللعلم فإن كلا من نهر أموداريا وبحر أورال كانا فيما مضى يمثلان نظاما بيئيا بديعا وفريدا، ويزخران بالأسماك والأيائل. لكن بعد فقدان البحر لما نسبته ٦٥٪ من المياه، جعله الآن مجرد مساحات شاسعة من الأراضي القاحلة التي اختفت منها الحياة البحرية، وأدى هذا بدوره إلى زيادة جفاف المناخ، وزيادة ملوحة التربة وبالتالي زيادة مستلزمات الري وارتفاع كلفته.



تجفيف المستنقعات ونضوب البحيرات بفعل الإنسان تسبب بحدوث أضرار جسيمة للبيئة

وفي جنوب شرق آسيا أدت النشاطات البشرية في الغابات إلى إلحاق أضرار بالحياة الفطرية فيها تفوق ما أحدثته التغيرات المناخية، فعلى سبيل المثال، كانت فيتنام تحتفظ منذ ٤٠ سنة بـ ٥٠٪ على الاقل من غاباتها الأصلية، أما اليوم فإن المتبقي من هذه الغابات يقل عن ١٠٪.

تلوث الهواء والماء والتربة:

لقد أدى التقدم التقاني الكبير في عالم اليوم إلى أن تمارس الدول نشاطات عدة في مجالات الزراعة والصناعة والتعدين تسبّبت في تلويث الهواء بمليارات الأطنان من ثاني اكسيد الكربون، إضافة إلى بعض الغازات الأخرى التي أدت إلى ارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض واختلال التوازن البيئي. وفي المنطقة العربية بوجه خاص، يعتبر قطاع الصناعة مساهما رئيساً في تلويث البيئة نتيجة صرفه للمخلفات في الهواء والماء والتربة، ويعد على رأس هذه الصناعات صناعة الأسمنت والصلب ومصافي وخزانات البترول والكيماويات التي لم تعتمد الدول العربية في تصميمها على مقاييس التلوث السليمة، وقد سمعنا مؤخرا عن التلوث النفطي الكبير الذي حدث لقرية درنكة في صعيد مصر نتيجة انفجار مستودعات للنفط شب فيها حريق هائل بفعل الأمطار والعواصف الرعدية، مما أدى إلى تدمير معظم اشكال الحياة في القرية المذكورة بما في ذلك وفاة أعداد كبيرة من السكان.

كما أن بعض الدول العربية تقوم بتصريف مياه المجاري في البحار والأنهار، ومن عوامل التلوث المشهودة بالمنطقة انفجار الناقلات النفطية حيث يتسرب النفط في مياه البحر بشكل يلوث المياه، وقد كانت حرب الخليج الأخيرة سببا في حدوث كارثة بيئية هائلة في مياه الخليج، فوفقا لتقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة للبيئة، فإن كمية النفط التي سكبت ولوثت الخليج تقدر بنحو مليون إلى مليوني برميل، بينما أشار تقرير آخر إلى أن كمية النفط التي تسربت للخليج إبان الحرب تتراوح ما بين ٦-٧ ملايين برميل، ونتيجة لذلك تعرضت الشعب المرجانية والأعشاب البحرية والطحالب والعديد من أنواع الطيور المستوطنة والمهاجرة كالغاق والنوارس والعقاب والبشاروش إلى أضرار متفاوتة في خطورتها من جراء التلوث النفطي، كما تعرضت للضرر بعض القشريات كالجراد والروبيان والسرطان.

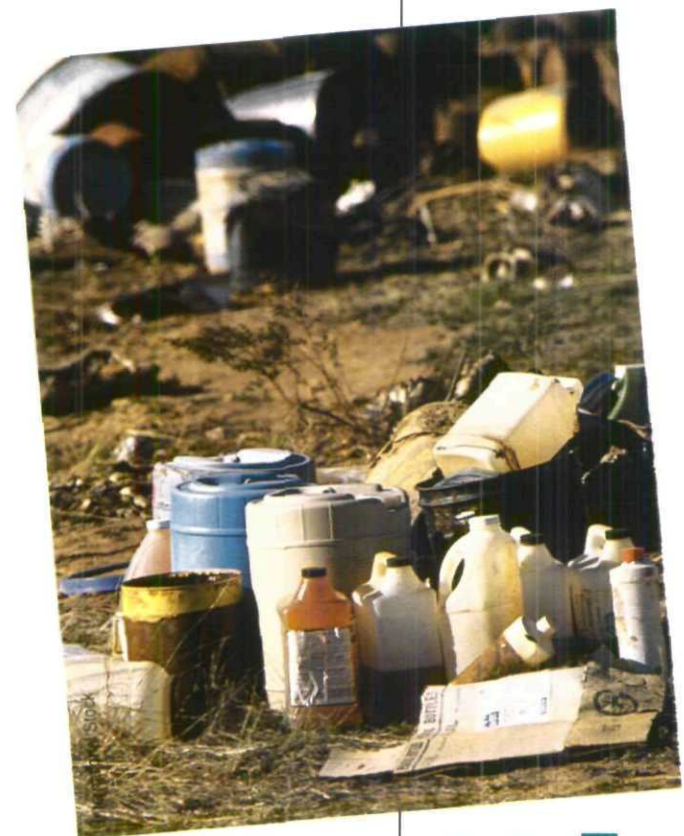
الإنقراض بالأرقام :

في كتاب «نهاية التاريخ الأحيائي» الصادر عن جامعة هارفارد سنة ١٩٩٢م، لاحظ الكاتب ادوارد أو. ويلسون أن معدلات انقراض الحياة الفطرية في القرن الأخير عموما من نباتية وحيوانية هي كالتالي: الثدييات ١١٪، الطيور ١١٪، الزواحف

إسراف الإنسان في صيد الحيوانات والطيور النادرة أدى إلى الإخلال بالتوازن البيئي

International Stock

٣٪، البرمائيات ٢٪، الاسماك ٢٪، الرخويات ٤ر٪، الحشرات ٧ر٪. أما عن الاشجار فلدينا ٣٢٪ من ٧٠ نوعا من عاريات البذور، وهنالك ٩٪ من حوالي ربع مليون نوع من كاسيات البذور (٥ر٨٪ من أحاديات الفلقة ٣ر٩٪ من ثنائيات الفلقة).



تنمية الوعي البيئي لدى الجماهير مطلب أساسي في مواجهة عدم التوازن البيئي

وبالنسبة للحشرات فإن معدلات الانقراض الحقيقية تتزايد، ففي بريطانيا، انقرض ١٪ من جميع أنواع الحشرات في القرن الحالي و ٧٪ من الحشرات تعتبر أنواعا مهددة في الوقت الحاضر و ٤٪ عرضة للانقراض، وتنطبق نسبة الـ ٧٪على اللافقاريات غير الحشرات، وإذا استعرضنا حجم الانقراض في عدد من دول العالم، سنجد الآتي:

-في سوريا، تتعرض قطعان الغزلان، وأسراب القطا، والزرزور، والباشق، والنسور، والعقبان، والحيوانات البرية المتوحشة كالضباع والنمور والذئاب والدببة لخطر الانقراض نتيجة الإسراف في الصيد، وقطع أشجار الغابات التي كانت تشكل ملاذاً تأوي إليه الطيور والحيوانات.

- وفي رواندا ذلك البلد الافريقي الذي كان بالأمس يزخر بآلاف القردة خاصة الغوريلا، صار اليوم لايضم على أرضه سوى عشرات منها، حيث لم يبق هناك من غوريلا الجبال سوى ١٤٠ حيوانا، فقد انخفض عددها بشدة بسبب عمليات القنص وزحف العمران إلى المناطق التي تعيش فيها هذه الحيوانات.

- وفي شبه الجزيرة العربية تناقصت أعداد الريم والوعل والماعز الجبلي نتيجة للصيد بالأسلحة النارية، مما حدا بالسلطات السعودية إلى التدخل وذلك بإقامة مناطق محمية طبيعية يحظر الصيد فيها، وسنت التشريعات اللازمة لحماية وإنماء الحيوانات النادرة.

- وفي إيطاليا ، قامت لجنة حماية البيئة بجولة تفتيشية تبين لها من خلالها ، بعد فحص عدد من المطاعم والأسواق والمرافىء، أن ١٢٨٦ حيواناً نادراً بما في ذلك العظّاءة العملاقة وأم قرفة والسمندل العملاق والسعدان والزباد قد قتلت أو بيعت أو هربت.

- وفي مصر تتعرض بعض الحيوانات لخطر الانقراض نتيجة استعمال المبيدات الحشرية والتوسع العمراني في الأراضي الزراعية ومن هذه الحيوانات الذئاب والثعالب والنموس.

- وبالنسبة للكائنات البحرية، فإن أنواعاً عديدةً من الاسماك والحيتان والبرمائيات قد انقرضت أو هي مهددة بالانقراض كما تقلصت أعداد التماسيح وهي من الزواحف البرمائية،بشكل حاد نتيجة الإسراف في صيده بقصد استغلال جلده في عمل الحقائب والأحذية الفخمة.

وفي الخليج العربي يهدد خطر الانقراض الكثير من الأحياء المائية وخصوصا بعد التلوث النفطي الذي تعرضت له المياه نتيجة لحرب الخليج الأخيرة. وتجدر الإشارة إلى أن المئات من الدلافين والسلاحف البحرية والثعابين المائية معرضة للانقراض نتيجة الأشغال التي يقوم بها الإنسان لتمديد مساحة البر داخل البحر، ومن أكثر الحيوانات البحرية التي تتعرض للانقراض خروف البحر، وهو حيوان مائي يشبه الدلفين ولايتكاثر إلا مرة واحدة كل ثلاث سنوات. وقد تناقص عددها بشكل يبعث على القلق بعد حادثة ضرب آبار نوروز الإيرانية في عام ١٩٨٣م، ويقدر عددها حاليا بأقل من خمسين حيوانا، وقد وضعت المملكة العربية السعودية برنامجاً طموحاً للحفاظ على خرفان البحر ضمن التدابير التي اتخذتها لحماية البيئة البحرية.

التوصيات:

تعد ظاهرة اندثار العديد من الأحياء النباتية والمائية والبرية مأساة بمعنى الكلمة، لذا يتوجب اتخاذ عدة تدابير عملية لإنقاذ هذه الكائنات من خطر الانقراض بحيث نبدأ بتعميق قيم العناية وسن التشريعات الصارمة التي تحمي البيئة وما فيها من حياة فطرية من أيدي العابثين المستهترين، وفيما يلي أهم المقترحات في هذا الشأن:

- إجراء مسح عام لجميع النباتات والحيوانات والطيور في العالم للتعرف إلى المشكلات البيئية التي تواجهها.

- التوسع في إقامة حدائق

للنباتات المهددة بالانقراض، ومعلوم أن هذه الحدائق موجودة بالفعل في معظم دول العالم، إذ يوجد زهاء ١٣٠٠ حديقة نباتات ومشتل حول العالم يضم الكثير منها انواعاً مهددةً أو منقرضة، ويوجد بالمملكة العربية السعودية نموذج متميّز لهذه الحدائق وهو حديقة النباتات الصحراوية التابعة لمركز دراسات الصحراء وتقع على أرض جامعة الملك سعود في بلدة الغطغط ترب المزاحمية على بعد حوالي ٥٠ كيلو متراً غرب الرياض، وتبلغ مساحتها حوالي ٤٠ هكتارا، وقد خصصت بداخلها مساحة في حدود ١٠٠٠م٢ لزراعة كل نوع من الأنواع النباتية الشجيرية، بالإضافة إلى تخصيص بعض الأجزاء الأخرى لأبحاث المراعي، وتحرك الرمال، والغطاء النباتي البري، واستخدام المياه المالحة في الري. ويجري في الحديقة تطوير بنك البذور وإغنائه بإضافة العديد من بذور النباتات البرية والمستوردة، كما يجري إدخال أصناف نباتية جديدة من مختلف صحاري العالم لبيان مدى تأقلمها مع البيئة المحلية، ومن ثم زراعتها بهدف انشاء حديقة عالمية للنباتات الصحراوية.

- المحافظة على البيئة التي تعيش فيها الحيوانات البرية، وكذلك المحافظة على أعشاش الطيور وجحور الحيوانات، وبناء الأعشاش الخشبية للطيور ووضعها على الأشجار، وتوفير الغذاء لها في الأوقات التي لاتستطيع فيها تأمين غذائها.

- إقامة حدائق حيوانات طبيعية، ولانقصد بذلك حدائق الحيوان التي تقام داخل المدن والتي تحبس فيها الحيوانات في أقفاص حديدية ليشاهدها الجمهور، فمثل هذه الحدائق تؤدي إلى إعاقة نمو الحيوانات وتكاثرها بشكل طبيعي، وإنما نقصد اقامة الحدائق على شكل المحميات الطبيعية التي يتجول فيها الحيوان بحرية، وتسمى في الغرب «الحدائق الوحشية» أو «الحدائق البرية» كحديقة الدندر في شرق السودان، والحديقة المجاورة لبلدة وندسور غربي لندن، والتي يسمونها «سافاري بارك» وهي مكان خلاب تجول فيه الأسود والفهود والنمور والغزلان في بيئة تشبه الغابة الحقيقية، بدون أقفاص ولا قضبان. ولقد توالدت في حدائق أوروبا حيوانات أعيد تصدير نسلها إلى مواطنها الأصلية بعد أن خلت تماما منها، ومن أمثلة ذلك نوع من الأسود توالد في حديقة «شاتو دي ثواري» الفرنسية، وكذلك أنواع أخرى من الأوز أعيدت إلى هاواي، ومن الثيران الوحشية أنواع اعيدت إلى غابات بولندا، وفي تنزانيا توجد حديقة حيوان طبيعية شهيرة على هضبة سيرنجيتي تبلغ مساحتها ١٫٥ مليون هكتار، وهناك حديقة يلوستون في الولايات المتحدة التي تبلغ مساحتها ٨٩٩١٠٤ هكتارا.

- إجراء التلقيح الصناعي للحيوانات النادرة وذلك بقصد الحفاظ عليها وإكثارها. وفي هذا السياق تم إنشاء بنوك وراثية لتخزين المورثات في العديد من حدائق الحيوان الامريكية، حيث يستخرج العلماء، من الحيوانات المهددة بخطر الانقراض السائل المنوي والبويضات والأجنة ثم يتم حفظها مجمدة في معامل معدة لهذا الغرض. حيث من الممكن أن تظل حية لمدة ثلاثين سنة. وعلى سبيل المثال، فإن مركز تكاثر الكائنات المعرضة للخطر في حديقة سان دييغو بالولايات المتحدة الأمريكية يحوز حيوانات منوية وبويضات لأكثر من مائتي نوع تشمل الكركدن السومطري والبيرسومطري والغوريلا.

- سن التشريعات التي تمنع تلويث المسطحات المائية بالمخلفات العضوية أو الكيميائية، لأنها تفسد المياه وتقلل الأوكسجين الذائب مما يؤدي إلى هجرة الأحياء البحرية أو موتها.

- سن التشريعات التي تنظم عمليات الصيد البري والبحري بحيث تحدد الكميات المسموح بصيدها وأوقات الصيد، على أن يحظر الصيد في مواسم تكاثر الحيوانات، وكذلك منع الصيد بالأسلحة النارية والمتفجرات، إضافة إلى تحديد نوعية الشباك وأحجام ثقوبها بحيث لاتصطاد الأسماك الصغيرة.

- تنظيم الرعي، والحد من عمليات الاحتطاب والحراجة، إذ إن تدهور المراعي الطبيعية يؤدي إلى تقلص اعداد الحيوانات البرية بسبب نقص الغذاء اللازم لها وتخريب الوسط الذي تعيش فيه.

- تنمية الوعي البيئي لدى الجماهير من خلال المسجد والمدرسة والإذاعة والكتاب، وحثهم على المحافظة على البيئة وعدم تلوثيها، وتبصيرهم بمخاطر انقراض الحيوانات على التوازن البيئي، وكذلك حثهم على الرفق بالحيوانات وعدم تعذيبها أو اتخاذها مادة للتسلية أو حبسها، فقد «دخلت امرأة النار في قطة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (حديث شريف) ■

المراجع:

١ - د. محمد العودات، التلوث وحماية البيئة، دار الاهالي للنشر والتوزيع - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٢ - م. درويش ابراهيم يوسف، مأساة انقراض الأنواع الحية، مجلة الفيصل العدد ٢٠٦، يناير - فبراير ١٩٩٤م.

٣ - البقاء للأصلح.. ولكن من هو؟ مجلة الجديد، العدد ٧٨، ابريل سنة ١٩٧٥م.

٤ - علي الصغير وصالح سليمان، البيئة والاخطار المحدقة بها، مجلة الحرس الوطني، العدد ١٣٥، نوفمبر سنة ١٩٩٣م.

٥ - فهمي حسن أمين العلي، الوضع الراهن للتلوث البيئي في منطقة دول مجلس التعاون، مجلة التعاون، العدد ٣٤، ديسمبر سنة ١٩٩١م.

٦ - م. محمد عبدالقادر الفقي، انقراض الحيوانات، مجلة النور، العدد ٥٧، يونية سنة ١٩٨٨م.

٧ - هل يختفي التمساح من الأرض؟، مجلة العربي العدد ١١٦، اكتوبر - نوفمبر سنة ١٩٨٦م.

8 -*Eugene Linden*, Ancient Creatures in a Lost World, Time, No 25, June, 1994.

9 - Robert M. May "Book Review", The End of Biological History, *Scientific* American, Vol 266, No 3, March 1993.

10 - Leon Aron, The Soviet Sopt Union's Underbelly: Muslim Central Asia, Global *Affairs. Special Issue*, 1990.

11 - Time, 20 June 1994.

الهوامش:

١ - المنزورات: سائل كيميائي يضخ على الاشجار فيجعل الأوراق تتساقط قبل الأوان.





صفحة في اللغة

بقلم: د. بهجت عبد الغفور الحديثي ـ العراق

كثرت الأخطاء اللغوية وشاعت حتى أصبحت مألوفة، ومنها:

* عادي وعادية: يرى الدكتور مصطفى جواد أنها منسوبة إلى عـاد، وهي تدل على القديم والقديمة، وأما إذا كانت منسوبة إلى عادة، فهي بمعنى المكرر، ولاتعني المألوف الشائع.

وعليه، فالصواب أن يقال: مسألة اعتيادية، أمر اعتيادي.

* بعض: يرى الدكتور جواد أيضاً أن (بعض) تستخدم بمعنى واحد ويرى غيره أنها تدل على الأقل من الأكثرية. ويجُمع النحاة على أنها لاتُنوَن ولاتعرَّف بأل. وإنما هي ملازمة للإضافة، فلا يصح أن يقال: أعرض بعض من هذه الأخطاء، لأن (بعض) تفيد التبعيض ومن للتجزئة. فالأصوب أن يقال أعرض بعض هذه الأخطاء.

* من قِبَل: وهي تعني من جهة، قال تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحديد: ١٣).

فلا يصح: كتب الدرس من قِبَل محمد. والأصح أن يقال: كتب محمد الدرس أو كُتب الدرس من محمد دون قَبلُ.

* تميز عن: جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم والأساس والنهاية واللسان ومستدرك التاج: ماز منه، وماز الشيء: فصل بعضه من بعض، وليس فضَل بعضه على بعض .. جاء في الحديث النبوي الشريف: من ماز أذى فالحسنة بعشر أمثالها: أي نحّاه وأزاله. فلا يقال إذن: تميز فلان على فلان بل الصواب أن يقال: تميز فلان من فلان، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، وقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ (الملك: ٨).

* الكفء: الكفء في المعجمات تعني: النظير والمساوي، جاء في الأساس: هو كفء بينَ الكفاية والكفاء، يريد بالكفء المساوي، وقد خطأ الدكتور إبراهيم السامرائي من يقول: فلان كفء لملء هذا المنصب الكبير، لأن الكفء لاتعني إلا المثل والنظير، قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.
ويقول: إن الصواب هو العالم الكافي أي صاحب الكفاية لاالكفاءة.

ولهذا يخطِّئون من يقول: فلان صاحب كفاءة. والصواب: فلان صاحب كفاية.

* البث الإذاعي المباشر: يقولون: البث الإذاعي المباشِر بكسر الشين، والصواب البث الإذاعي المباشَر بفتح الشين، لأن الفعل هو: باشر الأمر، يباشره مباشرة وبشارا، يعني تولاه بنفسه، فنحن مباشِرون والبث مباشَرٌ، يباشره المذيع، الذي يكون للبث مباشِراً.



« الكراسي الحمراء » لوحة الفنان اللبناني « **كميل حوّا** »


تعانق